

# صفاء القلوب وسلامة

## المصالح

مُحَمَّد بن عبد الله زعوري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

الحمد لله الذي جعل قلوب عباده بين يديه يصرفها كيف يشاء ، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة ، الذي أَلَفَ الله به القلوب وجمع به شتات النفوس ، فأصبحت كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائرهما بالألم ، فصلاة الله وسلامه عليه وعلى آله ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين . وبعد :

إن أردت راحة القلب وهناء البال واستقرار النفس فلن تجدها إلا بصفاء قلبك ونقاوة سريرتك من وساوس الضغينة وثوران الأحقاد .

فما تزال الأحقاد والأحن تعصفب بالمرء حتى تورده المهالك ، وتزج به عبر دهاليز الظنون والشكوك التي لا نهاية لها ، ولا مخرج منها .. حتى تحيل حياته إلا لظى مستعر وجحيم مقيم ..

إن صفاء القلب وسلامة الصدر فضيلة تكبح شرور وآفات القلوب .

وهذه الشرور والآفات على كثرتها إلا أن لها الأثر ذاته والنتيجة نفسها ...

فهي لا تدع من تلبس بها ورضي بالمقام معها ، حتى تجعله صريعا بين يديها تقلبه كيف شاءت ، ، فلا يعي إلا ما تمليه عليه ، ولا يفهم إلا بفهمها ، ولا يفكر إلا بما تحوى وتريد ....

وفي سكرة الغضب والعزة بالأثم يظن أن هذا الرأ وذلك التفكير ما هو إلا من سلامة فكرة ونظج عقلة ، وما درى المسكين أنه أسير لهذه الشرور تحركه كيف شاءت وتوجهه إلى حيث أرادت ..

ومن الخطورة بمكان أن تهيمن هذه الشرور والآفات ( من الحسد والغل والشحناء والبغضاء ) على قلب المسلم ، لأن ذلك دليل هلاكه وخسرانه في الدنيا والآخرة ..

فمن جانب طريق صفاء القلوب وسلامة الصدور ، وقع بما تمليه عليه أحقادها وما تسيره به غله وشحناءه ولم يبذل جهدا للتخلص منها حتى بلغ به أن اطمأن إليها وأنس بها فمن كانت هذه حاله فأمره في خطر وحاله في وبال إن لم تتداركه عناية الله ، فمثل هذا قد ابتعد عن هدي الإسلام ، بل وربما ارتفع عنه إسم الإيمان وخسر بذلك الجنان ، قال ﷺ ( والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ... )

وأي حب يرتجى وخير ينتظر من قلب كله حقد وحسد وغل وبغضاء .

وقد يمتد شر هذه الآفات فتصيب التجمعات المسلمة وإلى هذا الحد يكون الأمر طبيعيا ، لكونهم بشرا تسري عليهم قوانين البشر من تسلل الخلاف والنزاع بن أفراد التجمع الواحد مهما بلغ ذلك التجمع من السمو الخلقي ..

إلا أن من غير الطبيعي أن تجد هذه الشرور والآفات مرتعا خصبا بين جنبات المجتمع المسلم ، ومن غير الطبيعي أيضا أن تكون لها جذور ضاربة في نفوس وقلوب أفراد المجتمع ..

إذ لزاما على الجميع محاربة هذه الظواهر وسرعة النخلص منها لكونها من أهم عوامل تغويض المجتمع المسلم ...

وبالتالي فعليهم التخلق بخلق صفاء القلوب وسلامة الصدور لما في ذلك من جمع الكلمة وتوحيد الصف ..

وبين جنبات هذا البحث حرصت كل الحرص على اظهار ما لصفاء القلوب وسلامة الصدور من منزلة سامقة عظيمة ، ومرتبة عالية شريفة في الإسلام ، حتى ذلت كل نصوص الشريعة ، ومقاصدها لتكون خدنا بين يديها داعية لها حائلة للوصول إليها محذرة من التفريط في أمرها . جملت ذلك في ستة فصول :

الفصل الأول : تعريف صفاء القلوب .

الفصل الثاني : مكانه صفاء القلوب في الإسلام .

الفصل الثالث : دعوة الإسلام لصفاء القلوب .

الفصل الرابع : مؤثرات في الصفاء .

الفصل الخامس : كيف نصل للصفاء .

الفصل السادس : نماذج من الصفاء .

وليس المقصود الحصر و الاستقصاء ، ولكن التنويه و الإشارة و القصور حاصل لا محالة ، فمن وجد شيئاً من ذلك فليصححه أو يرشدنا لتصحيحه .

والله أسأل أن ينفع به كل من طالعاه ، والحمد لله رب العالمين .

فُحِّدَ عبد الله زعوري

## الفصل الأول

### تعريف صفاء القلوب

الصفاء اسم للبراءة من الكدر وصفوة الشيء ما صفا منه ، وصفو الجو : لم يكن فيه غيم ، واستصفاه أخذ منه صفوه واختاره ، وصافاه صدقه الإخاء ، والصفى الحبيب ومن يعز عليه .  
والصفى من الغنيمة ما اختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة . وصفى الرجل : الذي يصادفه الود .  
والمصفى مفتعل من الصفوة وهي خلاصة الشيء وتصفيته مما يشوبه <sup>١</sup> .

وخلاصة هذه المعاني اللغوية : البراءة من الأكدار .

فهي براءة القلب من الأكدار و الأوساخ ونقاوته عن كل همّ وخاطر مذموم عقلاً أو شرعاً ، فهو مبرأ من وساوس الأحقاد ومن آثام الضغينة . ومحموم من كل ما نهى الله عنه .

والمقصود بصفاء القلوب وسلامة الصدور : حب المسلمين على جميع أنواعهم وأشكالهم وفوارقهم من كبير وصغير وفقير وغني ومطيع وعاص . لأنهم مجمعون على لا إله إلا الله محمد رسول الله مقرون بمقتضاها فوجبت لهم المحبة لذلك . فإن قصروا في أداء متطلباتها نشفق عليهم ونكره معاصيهم ونرجوا لهم الخير ، ولا نتمنى لهم الشر ولا نبغضهم ، بل نواليهم وذلك من أساس عقيدة المؤمن ، فالمؤمنون كلهم أولياء الرحمن : " ( الله ولي الذين آمنوا ... ) " والله وليهم ومولاهم ، فهو يحبهم ويحبونه ، ومن عادى له ولياً فقد بارزه بالمحاربة ، فالولاية من رحمته وإحسانه ، وتكون كاملة وناقصة : كاملة لأهل الإيمان ، وناقصة لمن ظلم نفسه بالمعاصي . وهذا الصنف من أولياء الرحمن الذين لا نبغضهم إلا لمعصيتهم ، كما قال صاحب الطحاوية : ونخبُ أهل العدل و الأمانة ونبغض أهل الجور و الخيانة و الحب و البغض بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر ، فإن العبد يجتمع

فيه سبب الولاية وسبب العداوة و البغض ، فيكون محبوباً من وجه ومبغوضاً من وجه و الحكم للغالب ...

ونحن نحب من أحب الله ، والله لا يحب الخائنين ولا يحب المفسدين ولا يحب المستكبرين ونحن لا نحبهم أيضاً ، ونبغضهم موافقة له سبحانه وتعالى ...

ونرجوا للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ، ويدخلهم الجنة برحمته ، ولا نأمن عليهم ، ولا نشهد لهم بالجنة ...

ونستغفر لمسيئتهم ونخاف عليهم ولا نقطعهم ، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك ، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى ، و إنا قد أمرنا بالظاهر ، ونهينا عن الظن ، واتباع ما ليس لنا به علم "( ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل ذلك كان عنه مسؤولاً )" <sup>١</sup> .

ولكن أهل الفسق والفجور والعصيان والمعروفين بها والمصريين عليها ، وكذلك الكفار ليس على المسلم جناح في أن يقاطعهم حتى الموت ، وليس عليه جناح من لائمة في أن يكنّ لهم البغضاء ، وعالهم بالعداء ، بل إن ذلك من أمارات الإيمان الصحيح . و الإخلاص لله وحده ، وقد أمر الله عز وجل أن نجافي أعداءه ، ولو كانوا أقرب الناس إلينا : "( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منهم فأولئك هم الظالمون )" (التوبة ٢٣) <sup>١</sup> وقال : "( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ... )" (الآية (المجادلة ٢٢) . وقال : "( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ... )" (المتحنة ١).

وخلاصة القول أن صفاء القلوب هو :

محبة المسلمين ، ورحمتهم ، والشفقة عليهم ، وبذل الخير من أجل صلاحهم وإسعادهم ، وتمني الخير لهم ، ولا نحتقرهم ولا نستهزئ بهم بل نساعدهم وندعوا لهم ، ونكون جميعاً على قلب واحد من الإيمان والتقوى .

قال ابن عباس عند قوله تعالى : "( رحماء بينهم )" : (( يدعو صالحهم لطاخمهم وطاخمهم لصاخمهم ، فإذا نظر الطاخ إلى الصالح من أمة محمد ﷺ قال : اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبتته عليه وانفعنا به ، وإذا نظر الصالح إلى الطاخ ، قال : اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته )) .

## الفصل الثاني

### مكانه صفاء القلوب في الإسلام

لعل المتبع لأوامر الشرع ومقاصد الشريعة يبرز له جلياً ما لصفاء القلوب من مكانة عظيمة ، ومنزلة عليا في ديننا الإسلامي ، فهو اللُّحمة الأولى التي تصل بين أفراد المجتمع المسلم وتربط بين أواصره ، وتشد من بنيانه ، فتجعله كالجسد الواحد ، كلما اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

ولقد أدرك السلف الصالح ما لهذه الصفة من مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة فأولوها من العناية والرعاية ما جعلها تنصدر اهتماماتهم وتحوز جميل عباراتهم ، حتى قال ابن عباس رضي الله عنهما (قربة الرحم تقطع ومنة النعم تكفر ولم ير مثل تقارب القلوب ، يقول الله تعالى : "( لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم )" .

ولقد صحبت الناس ثم سبرتهم وبلوت ما وصلوا من الأسباب

فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً وإذا المودة أقرب الأسباب (٣)

وفي رواية عنه قال : إن الرحم لتقطع وإن النعمة لتكفر وإن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء ثم قرأ : "( لو أنفقت ... )" (٤) .

وقد أنكر مجاهد بن جبر على من لم يعرف قدرها ويدرك عظم منزلتها ، فقد لقي يوما عبدة بن أبي فأخذ بيده فقال : إذا التقى المتحابان في الله فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك إليه تحت خطايهما كما تحت ورق الشجرة ، قال عبدة : إن هذا ليسير ، فقال : لا تقل ذلك فإن الله يقول : "( لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم )" فقال : فعرفت أنه أفقه مني(١) .

ولا غرو في اهتمام الاسلام بهذه الخلّة ، لما في الاتصاف بها من خير عميم وفضل كبير ومنافع تعود على المسلمين جماعات وافرادا ...

فصفاء القلوب نعمة يمتن الله بها على أهل الدنيا وجب الحفاظ عليها .

وصفاء القلوب أساس قيام المجتمع المسلم .

وصفاء القلوب سبب من أسباب النصر .

وصفاء القلوب وسيلة عظيمة لكسب والازدياد من الخير .

وصفاء القلوب سبب لقبول الأعمال .

وصفاء القلوب سبب الفوز والفلاح يوم القيامة .

وصفاء القلوب صفة من صفات أهل الجنة.

وصفاء القلوب نعمة يمتن الله بها على أهل الجنة .

### صفاء القلوب نعمة عظيمة وجب الحفاظ عليها :

كم من النعم قد حباك الله بها ترفل فيها صباح مساء . لكن لم ير مثل نعمة تقارب القلوب وسلامة الصدور بعد نعمة الإيمان .

إذ هي أساس كل نعمة ومنبع كل خير ...

كيف لا وبها يكون الانسان قرير النفس هادئ البال وماذا بعد هذه من نعم ...فمهما بذل الانسان من الاسباب المادية للوصول لسعادة النفس وراحة القلب ،فلن يصل لذلك . لأن الراحة النفسية لا يتوصل لها عن بجمع الأسباب المادية، بل يتوصل لها عن طريق التخلص من الهموم والخواطر الفارغة والافكار الفاسدة والضغائن المتلفة ، والاحقاد الحارقة ...

ولعظم هذه النعمة وعلوم منزلتها يمتن الله على عباده أن أسبغ عليهم وافر نعمة وجميل عطائه وحسن نعمائه . بأن ألف بين القلوب وجمع شتات النفوس .

فقال سبحانه وتعالى : " ( واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ) " (آل عمران ١٠٣) . ففي هذه الآية يأمرنا سبحانه أن نذكر نعمة الله علينا وبين لنا من هذه النعمة ما يناسب المقام وهو أننا كنا أعداءً مختلفين يقتل بعضنا بعضاً وينهب بعضنا بعضاً فأصبحنا بسبب هذه النعمة إخواناً . (٢)

و قال سبحانه وتعالى : " ( وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو أيديك بنصره وبالمؤمنين \* وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ) " (٣) .

(ولقد وقعت المعجزة التي لا يقدر عليها إلا الله والتي لا تصنعها إلا العقيدة فاستحالت هذه القلوب النافرة وهذه الطباع الشموس إلى هذه الكتلة المتراسة المتآخية الذلول بعضها لبعض ، الحب بعضها لبعض ، المتآلف بعضها مع البعض ، بهذا المستوى الذي لم يعرف التاريخ ، والذي تتمثل فيه حياة الجنة وسمتها البارزة " ( ونزعنا ما في قلوبهم من غلٍ إخواناً على سرر متقابلين ) " (١) .

وهذا الامتنان منه سبحانه يستوجب الشكر والحرص على عدم التفريط ...

- صفاء القلوب أساس لقيام المجتمع المسلم :



إن المجتمع المسلم لا يكون في عالم الواقع إن لم يؤسس على ركيزتين مهمتين :

الأولى منهما : التقوى والإيمان وقد عبّر عنهما القرآن في قوله سبحانه : "( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون )" (آل عمران) .

والثانية : الأخوة وقد عبّر عنها القرآن في قوله سبحانه : "( واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ... )" الآية .

وهذا المجتمع الذي قد أسس بنيانه على تقوى من الله وأخوة صادقة ، قد أنيطت به مهمة عظيمة جليلة القدر عبرت عنها الآية التي تلي هاتين الآيتين مباشرة من قوله تعالى : "( ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون )" (آل عمران ٦٤) .

(( فلا بد من جماعة تدعو إلى الخير ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ... والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - من ثم - تكليف ليس بالهين ... ومن ثم فلا بد من جماعة تتلاقى على هاتين الركيزتين : الإيمان بالله و الأخوة في الله لتقوم على هذا الأمر العسير الشاق بقوة الإيمان والتقوى ثم بقوة الحب والألفة وكنائهما ضرورة من ضرورات هذا الدور الذي أناطه الله بالجماعة المسلمة وكلفها بهذا التكليف . وجعل القيام بها شريطة الفلاح ، فقال عن الذين ينهضون به "( وأولئك هم المفلحون )" .

إن قيام هذه الجماعة ضرورة من ضرورات المنهج الإلهي ذاته ، فهذه الجماعة هي الوسط الذي يتنفس فيه هذا المنهج ويتحقق في صورته الواقعية ... هذا الوسط يتمثل في الجماعة المسلمة القائمة على ركيزتين ، الإيمان و الأخوة ، الإيمان بالله كي يتوحد تصورها للوجود والحياة والقيم والأعمال والأحداث والأشياء والأشخاص وترجع إلى ميزان واحد تقوّم به كل ما يعرض لها في الحياة وتتحاكم إلى شريعة واحدة من عند الله ، ... والأخوة في الله ، كي يقوم كيانها على الحب والتكافل اللذين تختفي في ظلالهما مشاعر الأثرة وتتضاعف بهما مشاعر الإيثار ... وهكذا قامت الجماعة المسلمة الأولى - في المدينة - على هاتين الركيزتين ... على الإيمان بالله ... وعلى الحب . الحب الفيض الرائق والود ، الود العذب الجميل ، والتكافل ، التكافل الجاد العميق ، وبلغت تلك الجماعة في ذلك كله مبلغاً لولا أنه وقع لعد من أحلام الحالمين ))(١) .

## صفاء القلوب من أسباب النصر :

كما أن اجتماع الكلمة و صفاء القلوب من أسباب توحيد الأمة وتجمعها فهو أيضاً من أسباب النصر ، وقد ربط سبحانه ذلك في قوله تعالى : " ( هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين \* وألف بين قلوبهم .. ) " ( الأنفال ٦٢-٦٣ ) .

قال الشوكاني في فتح القدير (٢) عند هذه الآية : (( إن ائتلاف قلوب المؤمنين هو سبب من أسباب النصر التي أيد الله رسوله فقد كانت العرب قبل بعثة النبي يأكل بعضها بعضاً ولا تحترم ماله ولا

دمه )) .

## صفاء القلوب وسيلة لكسب الأجر والازدياد من الخير :

يتجسد صفاء القلوب وتوافقها في صور عديدة وأمور كثيرة ، ومن أهمها صورة الأخوة في الله والحب في الله ، والتي قد رتب الله عز وجل عليها أجراً عظيماً ومكانة سامقة تتضح من خلال تلك الأحاديث المتكاثرة في بيان فضلها وأجرها ومكانتها مما يضيق المقام عن ذكر معظمها وأكتفي بذكر بعضها منها .

كما قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه : (( حَقَّتْ محبتي للمتحابين فيَّ وحَقَّتْ محبتي للمتواصلين فيَّ وحَقَّتْ محبتي للمتباذلين فيَّ )) (١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : (( إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون لجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي ))(٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام: (( المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغطهم النبيون والشهداء ))(٤) .

وقال عليه الصلاة والسلام : (( ما تحاب اثنان في الله تعالى إلا كان أحدهما أشدهما حباً لصاحبه ))(٥) .

### صفاء القلوب سبب لقبول العمل وحلول رحمة الله ومغفرته :

ربط الله سبحانه وتعالى بين قبول أعمال عباده ونزول رحمته عليهم وحلول مغفرته بصفاء قلوبهم وعدم تنافرهما واختلافهما .

فإن أدنى شائبة من الخلاف والنزاع والشقاق مانع لنزول رحمته سبحانه ، فقد كان التلاحي والخصام سبب في رفع تعيين ليلة القدر كما في حديث عبادة بن الصامت قال : (( خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحي رجلاً من المسلمين فقال : خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحي فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خير لكم ... ))(٦) .

وكم نحن بحاجة لنزول رحمته سبحانه وحلول مغفرته ، ولا نستحق هذه المغفرة وفي قلوبنا دخن على أحد من المسلمين ، ففي كل اثنين وخميس تعرض أعمال العباد على الله سبحانه فيغفر لكل مؤمن إلا المتشاحنين كما قال عليه الصلاة والسلام : (( تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس فيغفر الله في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً إلا امرئ بينه وبين أخيه شحناء فيقول : ( اتركوا هذين حتى يصطلحا ))(٧) بل ويصل الأمر إلى أكثر من ذلك فرمى رد على المتشاحنين عملهما بسبب فساد قلوبهما وعدم صفائهما ، كما بين ذلك في قوله عليه الصلاة والسلام : (( ثلاث لا تُرفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً رجل أمّ قوماً وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها ساخط عليها وأخوان متصارمان ))(٨) أي متقاطعان .

وكل ما ذكر ليؤكد ما لصفاء القلوب من مكانة ومنزلة حتى أنه قد ربط بها نزول رحمة الله ومغفرته سبحانه وقبول الأعمال .

## صفاء القلوب سبب الفوز والفلاح يوم القيامة :

قال تعالى : "( يوم لا ينفع مال ولا بنون \* إلا من أتى الله بقلب سليم )" .

قال ابن القيم في إغاثة اللهفان : ( والسليم هو السالم وجاء على هذا المثال ، لأنه للصفات كالطويل والقصير والطريف ، فالسليم القلب الذي قد صارت السلامة صفة ثابتة له ، كالعليم والقدير ، وأيضاً فإنه ضد المريض والسقيم والعليل .

وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم ، والأمر الجامع لذلك : أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ، ومن كل شبهة تعارض خبره (١) .

وقيل القلب السليم أي الخالص ، ورجحه القرطبي في تفسيره فقال : (( وهذا القول يجمع شتات الأقوال بعمومه وهو حسن ، أي الخالص من الأوصاف الذميمة والمتصف بالأوصاف الجميلة ، والله أعلم ، ... ثم قال ... وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (( يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير )) (٢) يريد - والله أعلم - أنها مثلها في أنها خالية من كل ذنب ، سليمة من كل عيب ، لا خبرة لهم بأمور الدنيا (٣) .

فلا نجا ولا فوز يوم القيامة إلا لذلك القلب الذي سلم من كل آفة من الأحقاد ، والضغائن ، ... وإن تلبس بشيء منها فإنه لا يدخل الجنة حتى يغسل من هذه الأدران وينقى .

كما قال عليه الصلاة والسلام : (( يخلص المؤمنون من النار ، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقصُّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا ذهبوا ونقوا أُذن لهم في دخول الجنة .. ))(١) .

(( إن فساد القلب بالضغائن داء عياء ، وما أسرع أن يتسرب الإيمان من القلب المغشوش ، كما يتسرب السائل من الإناء المثلوم ))(٢) .

فالخطورة في كون القلب تتنازعه الأهواء وتتسرب إليه الأحقاد فهذا ينقص الإيمان ويتبع الإنسان في ذلك شهواته فيكون من المخلات بشروط القلب السليم السالم من الشهوة و الشهبة ، فيكون من الخاسرين يوم القيامة .

### صفاء القلوب من صفات أهل الجنة :

إن الصفاء النابع من قلب أُشرب إيماناً وصفت نواياه وطواياه وأصبح ذا شفافية وسمو ورقة ، حتى غدا صاحبه مع اخوانه هينا لينا ، ينطبق عليه قول النبي ﷺ : (( المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنثى ، إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ ))(١) .

فإن كان كذلك فقد حرمه الله على النار لقوله عليه الصلاة والسلام : (( من كان سهلاً لينا حرم الله عليه النار ))(٢) .

وقال أيضا : (( ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً ؟ على كل هين لين قريب سهل ))(٣) .

فكان من أهل الجنة . وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (( يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة )) قال : فطلع رجل من الأنصار تَنظف لحيته من وضوئه قد علّق نعله في يده الشمال فسلم ، فلما كان من اليوم الثاني والثالث ، قال النبي مثل مقالته أيضاً ، فقام عبد الله بن عمرو بن العاص فتبع الرجل وقال : إني

لا حيت أي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً ، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تنقضي الثلاثة قال : نعم ، قال أنس : فكان عبد الله يحدث أنه بات معه ثلاث ليال ، قال فلم يره يقوم من الليل شيئاً ... فلما مضت الثلاثة ليال وكدت أحقر عمله ، قلت يا عبد الله إنه لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجر ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول فيك : كيت وكيت ... فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فلم أرك تعمل كثير عمل ، فما الذي بلغ ما قاله رسول الله ، فقال ما هو إلا ما رأيت ، قال : فانصرفت عنه ، فلما وليت دعائي فقال : ما هو إلا ما رأيت ، غير أنني لا أجد في نفسي على أحد من المسلمين غشاً ولا حسداً على خير أعطاه الله إياه ، فقال عبد الله : فهذه التي بلغت بك ، وهي التي لا تطاق ((٤) فلا يطيقها إلا من كان أهلاً لأن يكون من أول زمرة تلج الجنة كما وصفهم عليه الصلاة والسلام (( لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيّاً ))٥

لقد كان حالهم في الدنيا صفاء ونقاء ، فكذلك هم عند دخولهم جنة ربهم متصافون ومتآخون ، متشابكوا الأيدي .

( وكما أن الجنة تدفع إلى سباق في الجهاد ، والتقرب إلى الله فهي أيضاً تدفع إلى سباق في الطاعة والحب الأخوي والصفاء القلبي ) (١) .

## ٢- صفاء القلوب من نعيم أهل الجنة :

ومن جملة ما يمتن الله به على عباده فيما ينعم عليهم في الجنة تلك النعمة التي خولتهم ليكونوا من أول زمرة تلج الجنة ألا وهي صفاء القلوب .

فصفاء القلوب نعمة عظيمة أنعم الله بها على أهل الجنة فقال سبحانه : " ( ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ تجري من تحتهم الأنهار ) " (الأعراف ٤٣) .

وقال سبحانه : " ( ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ إخواناً على سررٍ متقابلين لا يمسهم فيه نصبٌ وما هم منها بمخرجين ) " (الحجر ٤٧) . (( ذكر الله عز وجل فيما ينعم على أهل الجنة نزع الغل من صدورهم )) (٢) فهم إخوان متحابون متصافون متوادون يرف عليهم السلام والولاء . وكما أنعم سبحانه عليهم في الجنة بهذه النعمة فقد نالوا قسطاً منها في الدنيا ، لكن شتان بين النعمتين فهما متشابهتان في الصورة فقط أما في النعيم والحقيقة فيختلفان تماماً كما قال عليه الصلاة والسلام : ((

لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا إلا الأسماء)) (٣) وفي رواية (( ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء )) أما الحقيقة و النعيم فلا مجال للمقارنة أبداً .

## الفصل الثالث

### دعوة الإسلام لصفاء القلوب

المتبع للتشريعات الإسلامية يلحظ مراعاتها لتربط القلوب وعدم اختلافها ، في كل جزء منها ، ولا غرو في ذلك فهي تعد من فرائض الدين .

لذلك نرى أن توجيهات القرآن تحرص دائماً على إبقاء وشائج الألفة والمودة بين المسلمين في كثير من الآيات ، وكذلك فعل الرسول ﷺ وأقواله جميعها تشير لهذا المعنى وتدعو إلى صفاء القلوب .

(( و الإسلام يتحسس النفوس بين الحين والحين ليغسلها من أدران الحقد الرخيص وليجعلها حافلة بمشاعر أزكى وأنقى نحو الناس ونحو الحياة . في كل يوم ، وفي كل أسبوع ، وفي كل عام تمر النفوس من آداب الإسلام في مصفاة تحجز الأكدار ، وتنقي العيوب ، ولا تبقي في الأفئدة المؤمنة أثارة من ضغينة .

أما في كل يوم : فقد أوضح الإسلام أن الصلوات المكتوبة لا يحضى المسلم بثوابها إلا إذا اقترنت بصفاء القلوب للناس وفراغه من الغش والخصومات ، قال رسول الله ﷺ : (( ثلاث لا ترفع صلاتكم فوق رؤوسهم شبراً : رجلٌ أم قوماً وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط وأخوان متصارمان (١) )) (أي متقاطعان) .

وأما في كل أسبوع : فإن هنالك إحصاء لما يعمل المسلم ينظر الله فيه ليحكم المرء على ما قدمت يده وأسرّه ضميره ، فإن كان سليم الصدر نجا من العثار ، وإن كان ملوثاً بمناتم الغضب والحسد والسخط ، تأخر في المضمار ، قال رسول الله

ﷺ : (( تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس ، فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً ، إلا امرء كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول : اتركوا هذين حتى يصطلحا ))(١) .

وأما في كل عام وبعد تراخي الليالي وامتداد الأيام ، لا ينبغي أن يبقى المسلم حبيساً في سجن العداوة ، مغلولاً في قيود البغضاء .

فإن لله في دنيا الناس نفحات لا يظفر بخيرها إلا الأصفياء السُّمَحَاء ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : (( يطلع الله تبارك وتعالى إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن ))(٢) فمن مات بعد هذه المصافي المتتابة ، والبغضاء لاصقة بقلبه لا تنفك عنه ، فهو جدير بأن يصلى حر النار فإن ما عجزت الشرائع عن تطهيره لا تعجز النار عن الوصول إلى قراره وكي أضغانه وأوزاره ... ))(٣) .

### من دعوة القرآن لتألف القلوب

أمر الله سبحانه لنبيه ليكون هيناً ليناً فقال سبحانه : " ( فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ) " فهي رحمة الله نالته ونالتهم فجعلته ﷺ رحيماً بهم ليناً معهم . ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ولا تجمعت حوله المشاعر ، فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم ... ))(٤) .

### من دعوة السنة لتألف القلوب



وقد تنوعت أشكال هذه الدعوة في أفعال الرسول ﷺ وأقواله ، واختلفت صورها وطرقها وتضامنت جميعها في مضمونها وموضوعها ، وصبت في بوتقة الصفاء و الألفة والمحبة ، ومن هذه الأشكال والصور التي تتلمس فيها أكبر دعوة لصفاء القلوب ووحدها الآتي .

### \* المؤاخاة بين المهاجرين و الأنصار :

كان ذلك أول عمل بعد الأمر ببناء المسجد عند مقدمه عليه الصلاة والسلام للمدينة وهذا ابن كثير قد بَوَّبَ لذلك في البداية والنهاية بقوله : (( فصل - في عقده عليه السلام الألفة بين المهاجرين والأنصار بالكتاب الذي أمر به فكتب بينهم المؤاخاة التي أمرهم به وقررها عليهم ))(١) وهذا العقد مكتوب كما يذكر أنس بن مالك(٢) وكان أساسه المؤاخاة والمناصرة والمساندة والموارثة حتى نزل قوله تعالى : "( وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض )" فنسخت ذلك وأبقى المؤاخاة بينهم .

ولم تكن هذه المؤاخاة في بداية الهجرة وحسب بل كانت تتجدد مع كل من دخل في الإسلام ، فهناك من أسلم متأخراً بعد الهجرة ، وثبتت مؤاخاته مع غيره فقد صح مؤاخاة سلمان و أبي الدرداء (٣) وسلمان تأخر إسلامه عن وقت الهجرة .

وليس الهدف من هذه المؤاخاة المساندة والمعاونة بالمال وحسب ، بل المقصود الأكبر هو التآلف والتحابب وبه يحصل كل شيء ، فقد عقد النبي هذه المؤاخاة بين المهاجرين بعضهم البعض في مكة ، قال ابن عبد البر : كانت المؤاخاة مرتين : مرة بين المهاجرين خاصة وذلك بمكة ومرة بين المهاجرين والأنصار(٤) ولم يكن أساس غرض المؤاخاة بين المهاجرين المساندة بالمال وحده فقط بل للتآلف والاخاء والصفاء .

### \* نشر الألفة ومحاربة الفرقة :

ومن سنته ﷺ دعوته إلى و نشر الألفة والمحبة ومحاربة بوادر الفرقة والخلاف وقطع جذورها وذلك بدعوته للإصلاح والمساواة إليه وترغيبه فيه .

، وقد حدث في عهده ﷺ بعض صور الاختلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم .

يقص علينا زيد بن أسلم رحمه الله قال : مرّ شاس بن قيس ، وكان شيخاً قد عس في الجاهلية ، عظيم الكفر ، شديد الطعن على المسلمين ، شديد الحسد لهم مرّ على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاضه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم ، وصلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال : قد اجتمع ملأ بني قبيلة بهذه البلاد ، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار ، فأمر فتي شاباً معهم من يهود فقال : اعمد إليهم فاجلس معهم ، ثم ذكرهم يوم بعث يوم اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ففعل ، فتكلم القوم عند ذلك ، وتنازعوا ، وتفاخروا حتى وثب رجلان من الحيين على الركب : أوس بن قيطي أحد بني حارثة من الأوس وجبار بن صخر أحد بني مسلمة من الخزرج ، فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئت والله ردناها الآن جذعة ، وغضب الفريقان جميعاً وقالوا قد فعلنا ، السلاح السلاح موعدكم الظاهرة - والظاهرة الحرة - . فخرجوا إليها وانضمت الأوس بعضها إلى بعض والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فخرج إليهم فيمن معهم من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال : (( يا معشر المسلمين الله الله أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً )) .

فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا ، وعانق الرجال بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدوهم شاس ... ))(١) .

فصحابة رسول الله ﷺ بشر تسري عليهم قوانين البشر وقد نزع الشيطان بينهم مع أن الله قد أَلَف بين قلوبهم ، فهل نستمسك بهذا الادعاء وندعهم دون الإصلاح بينهم والجمع بين قلوبهم . فالدعوة إلى جمع القلوب وتآلفها أمر لا بد منه وأمر مفروض على المسلمين أن يبذلوا فيه جهدهم مادامت المصلحة تقتضي ذلك لقيامها بمهام الدعوة إلى الله ولا يأتي ذلك إلا باجتماع الكلمة وتوحد الصف .

• وهذا النبي عليه الصلاة والسلام (( يتأخر عن الصلاة في أحد الأيام وذلك لانشغاله في الإصلاح بين المسلمين ))(٢) ، وما كان هذا الفعل منه إلا لأهمية ما خرج إليه عليه الصلاة والسلام .

حتى أنه جعل الإصلاح بين المسلمين أفضل من درجة الصلاة والصيام ، فقال عليه الصلاة والسلام : (( ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة ))(٣) ويؤكد القرآن هذا المعنى في آيات كثيرة توضح منهج القرآن في الإصلاح .

يقول سبحانه وتعالى : " ( لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ) " (النساء ١١٤) . فخص سبحانه الأمر بالصدقة والحث عليها والأمر بالمعروف والإصلاح بين الناس من جملة النجوى المذمومة وجعل فيها الخير كل الخير ، فهي مطلوبة ولو لم يكن لك فيها نية حسنة .

ويقول سبحانه : " ( إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ) " (الحجرات ١٠) . فالإصلاح أمر من الله يوجبه على الجماعة المسلمة لإنهاء الخلاف والنزاع إن وجد بين المسلمين .

ولأهمية منزلة الإصلاح ومكانته ، أنه أجيئ فيه ما لا يجوز في غيره ، فالكذب من الكبائر إلا في الإصلاح بين المسلمين ، فهو ممدوح مرغّب فيه لقوله عليه الصلاة والسلام : (( ليس الكذب الذي يصلح الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً ))(١) .

## صافي القلب من أفضل الناس . :

- وجعل عليه الصلاة والسلام صافي القلب من أفضل الناس (( قيل يا رسول الله : أي الناس أفضل قال : كل مخموم القلب صدوق اللسان ، قالوا صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ، قال : هو التقى لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد ))(٣) .

## صافي القلب محب للنبي ﷺ محي لسنته :

- فقد قال ﷺ : (( يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال : يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة ))(٢) .

\* حرصه عليه الصلاة والسلام على سلامة قلوب أصحابه

ومن دعوته عليه الصلاة والسلام لسلامة الصدور وصفاء القلوب ، حرصه عليه الصلاة والسلام على سلامة قلوب أصحابه فلا يحب أن يتسرب إليها أدنى شائبة .

فها هو عليه الصلاة والسلام يسير ليلاً مع زوجته صفية ، ليقلبها إلى منزلها وصادف مرور صحابين فأقفلوا راجعين فقال : (( على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله - وكبر عليهما - . فقال النبي ﷺ : إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً ))(١)

فحرص النبي على سلامة قلوبهما من أن تناله أدنى شائبة تخل بصفائهما ونقاتهما فبادر بإعلامهما ، وهو لم ينسبهما إلى أنهما يظنان به سوءاً لما تقرر عنده من صدق إيمانهما ، ولكن خشي عليهما أن يوسوس لهما الشيطان ذلك لأنهما غير معصومين(٢) ...

## النهي عن كل ما يفسد الصفاء

ولحرصه عليه الصلاة والسلام لإبقاء وشائج المحبة والألفة بين المسلمين وعدم تنافرهم وصفاء قلوبهم ، نهى عليه الصلاة والسلام عن جملة أمور تفسد المودة وتنفي الصفاء ولا تبقي للمحبة أثراً .

فقد نهى عليه الصلاة والسلام عن التحاسد والتباغض وما يوصل إليه من أنواع المعاملات كالنجش والبيع على بيع بعض والظلم والخذلان كلها وغيرها توصل للشحناء واللبغضاء . قد دعا عليه الصلاة والسلام للتخلص منها ومنابدتها في قوله : (( لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله ، التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه ))(١) .

ومن الأمور التي نهى عنها النبي ﷺ والتي لها دور في نفي الصفاء : أن تقيم الرجل مكانه وتجلس فيه . فقال : (( لا يقيمن أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا ))(٢) .

بل إنه عليه الصلاة والسلام يراعي شعور الجلساء ولا يدع للشيطان مدخلاً فنهى عن التناجي الذي ربما يدخل الشحناء والحزن على الأخ المسلم فقال : (( إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه ))(٣) .

قال الخطابي : وإنما قال يحزنه لأنه قد يتوهم أن نجواهم إنما هي لسوء رأيهما فيه أو لدسياسة غائلة

له . وقال مالك : هذا من حسن الأدب لئلا يتباغضوا ويتقاطعوا(٤) .

وإيذاء المسلمين أو الإضرار بمصالحهم يوصل للتشاحن والتباغض فنهى عن كل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه عليه الصلاة والسلام : (( المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ))(٥) .

وقال : (( لا يشهر أحدكم على أخيه السلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يديه فيقع في حفرة من النار ))(١) . وقال (( سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ))(٢) .

والإيذاء في المصالح قال ﷺ : (( اتقوا اللاعنين قالوا : وما اللاعنين ؟ قال : الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم ))(٣) .

وأما المازح الذي يوصل للشحناء والبغضاء فقد قال عليه الصلاة والسلام : (( لا يأخذ أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً )) وفي رواية (( لا يأخذ أحدكم عصا أخيه لاعباً وجاداً ، فمن أخذ عصا أخيه فليردها إليه ))(٤) فإنه ربما أخاف أخاه ، وأوغر صدره عليه .

(( وقد نهى عليه الصلاة والسلام أن يبيع حاضر لباد ولا يخطب رجل على خطبة أخيه ولا تسأل المرأة طلاق أختها ))(٥) . لأنه موصل للتشاحن والتباغض وعدم الصفاء .

## الأخذ بالأسباب الموجبة للصفاء

\* ومن دعوته عليه الصلاة والسلام للصفاء و التآلف أنه أمر المسلمين بالتواد والتراحم والتحاب .

فقد قال عليه الصلاة والسلام : (( مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ))(٦) .

وقال : ( حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعبادة المريض ، وإتيان الجنائز ، وإجابة الدعوة وتشميت العاطس )) وفي رواية مسلم زيادة (( وإذا استنصحك فانصح له ))(١) .

وقال : (( ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يُقذف في النار ))(٢) .

وقال : (( سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... )) وذكر منهم : (( ... ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ))(٣) .

وقال : (( والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم ))(٤) .

وقال : (( لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق ))(٥) .

## الفصل الرابع

### مؤثرات في الصفاء

من المعلوم أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء ، وتربط القلوب وصفاءها بيد الله سبحانه : " ( لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ) " ( الأنفال ٦٣ ) .

فالتربط القلبي موكل لقدر الله وقدرته وليس لنا من الأمر شيء ومع ذلك نحن مطالبون بالعمل الدؤوب الموصل للصفاء والبعد عن كل خارم وخادش في الصفاء والبعد عن كل ما ينسف الود ولا يبقى له أثر ومن أهم هذه المؤثرات : الوقوع في المعاصي .

إن هذا الترابط القلبي المستمسك بعرى الإخاء والمعتصم بجبل الله يهاب المؤمن الحق ويفرق من التفلت عنه وتركه ، ففي تركه هلاكه وبؤسه لأنه ابتعد عن خالقه .

فهذه القلوب المعتصمة بحبل الله الذي طرفها بأيديهم والطرف الآخر بيد الله ، من ترك الاعتصام به فهو في الظاهر منقطع عن ربه وخالفه تارك لمُعْتَصِمه وفي الحقيقة هو مفارق للجماعة المؤمنة الملتحمة والمترابطة بعرى الإخاء والمعتصمة بحبل الله .

ولا يبعد عن الاعتصام بحبل الله إلا من لم يكن أهلاً أن يمثل بين يدي الله لإصراره على العيش وسط الأوحال والأدناس وقد أخلد لها واطمأن بها .

فلم يكن ليعتصم بحبل الله وهو مكتنف بحبل الهوى والشيطان والغواية والعصيان فاستحق الطرد والبعد عن كنف الله وحفظه ، وهو بالتالي بعيد عن تلك القلوب المتصافية المتآخية .

فكل من فرط في عهد الله وميثاقه ولم يستجب لنداء الله بالابتعاد عن ما نهى الله عنه استحق عقاب الله وغضبه فكان بعيداً عن رحمته وعن أوليائه ولم يكن من أهل أصفياه ولا من المصافين لهم .

فالواجب التطهر من الذنوب كبيرها وصغيرها ، وابتعاد الران عن القلوب لتصفوا وترق وتكون أهلاً للنور الإلهي ويصفوا بذلك عمل الجوارح ويصح بعد ذلك التأويل والاجتهاد وتلتقي القلوب وتتقارب النفوس .

واقتراف الذنوب وعدم التقيد بمنهج الله هو السبب الأول لاختلاف القلوب وعدم صفائها وتنافرها وتباغضها ، وهي سنة ربانية عبّر عنها القرآن في آيات كثيرة حيث قرن سبحانه بين نقض عهده وإيجاد العداوة والبغضاء بسبب نقض العهد وارتكاب الذنوب : " ( فنسو حصاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ) " ( المائدة ١٤ ) (( أي فألقينا بينهم العداوة والبغضاء لبعضهم البعض ولا يزالون كذلك إلى يوم قيام الساعة وكل ذلك لنقضهم عهد الله )) (١) .

قال ابن تيمية : (( إذا ترك الناس بعض ما أنزل الله - جهلاً أو هوى - وقعت بينهم العداوة والبغضاء إذ لم يكن بعد هناك حق جامع يشتركون فيه بل تقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب لما لديهم فرحون )) (٢) .

وهذا عام في الجماعات والأمم وربما يكون بين الأفراد ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (( ما تواد اثنين في الله عز وجل ، أو في الإسلام يفرق بينهما إلا ذنب يحدثه أحدهما )) (٣) وذلك لشؤم

المعصية فهي تُحدث وحشة بين العاصي والناس ، ولا سيما أهل الخير منهم فإنه يجد وحشة بينه وبينهم وكلما قويت تلك الوحشة بعد عنهم وعن مجالستهم وحرم بركة الانتفاع بهم ... )) (١) وإن كانت هذه المخالفة فيما نراها صغيرة في الظاهر فالخذر الخذر من آثارها وخطرها في مخالفة القلوب فقد قال عليه الصلاة والسلام : (( استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم )) (٢) أي يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب .

### \* صور من المعاصي :

وصور المعاصي تختلف وتباين في ظاهرها وفي الحقيقة هي خروج عن طاعة الله وعهده وهي بالتالي من المؤثرات سلبيا في الصفاء .

وقد سبق في دعوته عليه الصلاة والسلام لتآلف القلوب وصفائها نهي عن كل أمر يؤدي لفساد القلوب واختلافها ، ومن هذا قوله ﷺ : (( لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله ... الحديث )) (٣) .

ففي هذا الحديث صور لبعض المعاصي التي تلهب القلوب عداوة وتشعل النفوس غيظاً وتنسف الإخاء نسفاً - الحسد ، التنافس ، التباغض ، التدابر ، بيع بعضهم على بيع بعض ، الظلم ، الاحتقار ، الخذلان .

نعرض بعض هذه النسافات ونرى كيفية هدمها للصفاء .

\* **فالحسد** : من الأمراض الفتاكة للود والصفاء ، إذا تمكن من القلوب واستمرأته النفوس صار للقلب حارقاً وللحسنة آكلأ ، لا يهدأ للحاسد بال ولا يغمض له جفن حتى تزول تلك النعمة التي حسد بها أخاه ، قال ﷺ : (( الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب )) (٤) .



ولا يجتمع إيمان عبد مع الحسد أبداً ، قال ﷺ : (( لا يجتمع في جوف عبد مؤمن الإيمان والحسد )) (١) .

وخير الناس من لم يكن في نفسه أدنى شائبة من الحسد على إخوانه فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قلنا : يا رسول الله من خير الناس ؟ قال : (( ذو القلب المخموم واللسان الصادق )) قلنا قد عرفنا اللسان الصادق فما ذو القلب المخموم ؟ قال : (( هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا حسد ... )) (٢) الحديث .

وقال عليه الصلاة والسلام : (( دب إليكم داء الأمم قبلكم ، الحسد و البغضاء ... هي حالقة الدين لا حالقة الشعر ، .. الحديث )) (٣) .

والحسد سبب هلاك الأمم ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (( ... فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم )) (٤) وفي حديث عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( إذا فتحت عليكم فارس والروم .. - وفيه - تنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون )) (٥) .

فأساس الفراق والتدابير والتباغض هو الحسد ، الذي عاقبته وخيمة ، فالحسد حرم إبليس من رحمة الله وصار مبعداً مغضوب عليه ، والحسد سفك أول دم طاهر زكي بقتل قابيل هابيل ، والحسد أخرج يوسف من بين إخوته وألقي في غياهب الحب .

والتباغض ثم التدابر والفرقة نتيجة حتمية لما يسبقها من التخاصم والمراء وكلها أمور مدمومة ، منهي عنها .

\* والمراء (يقسي القلوب ويورث الضغائن) (١)

وهو من أشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان ... فإنها عين التدابر والتقاطع فإن التقاطع يقع أولاً بالآراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان ، وقد نهي عليه الصلاة والسلام فقال : (( لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه )) (٢) ، وقال : (( من ترك المرء وهو محق بني له بيت في الجنة )) (٣) ، [ وقال سفيان الثوري : لو خالفت أخي في رمانة فقال : حلوة وقلت : حامضة لسعي بي إلى السلطان ، وقال : (( صاف من شئت ثم أغضبه بالمرء فليرمينك بداهية تمنعك العيش )) وقال ابن أبي ليلى : (( لا أماري صاحبي فيما أن أكذبه وإما أن أغضبه )) ] (٤) . [ وحد المرء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار الخلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى وإما في قصد المتكلم . والخلوص منه بترك الإنكار و الاعتراض ، فكل كلام سمعته فإن كان حقاً فصديق به وإن كان باطلاً أو كذباً ولم يكن متعلقاً بأمور الدين فاسكت عنه ] (٥) (( وإن جرى الجدل في مسألة علمية الواجب السكوت أو السؤال في معرض الاستفادة لا على وجه العناد والنكاد . أو التلطف في التعريف لا من معرض الطعن .

وأما قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه فهي المجادلة المخطورة التي لا نجاة من إثمها إلا السكوت )) (١) وربما يحتد المرء فيصير للخصومة وهي منهي عنها .

\* **فالخصومة :** لجاج في الكلام ليستوفي مال أو حق مقصود . ويكون ذلك ابتداءً أو اعتراضاً ، والمرء لا يكون إلا عن اعتراض على كلام سابق . قال رسول الله ﷺ : (( إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم )) (٢) .

والخصومة إذا نمت و غارت جذورها ، وتفرعت أشكالها شلت زهرات الإيمان الغض ، وأذوت ما يوحى به من حنان وسلام ... وكثيراً ما تطيش الخصومة بألباب ذويها . فتندلى بهم إلى اقتراف الصغائر المسقطة للمروءة ، والكبائر الموجبة للعنة ... )) (٣) .

[ فإن كانت الخصومة لحق لا بد منه ، فالنهي المقصود من يخاصم بالباطل وبغير علم ومن يخرج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج إليها في نصره الحجة وإظهار الحق ، وأيضاً أن تكون هذه الخصومة فقط لحض العناد والقهر كأن يكون يستحق مالاً فيقول : لا أريد المال ولكن أريد

إذلالك ، فإني إن أخذت المال أرميه في البحر ... أم المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف ليس بحرام ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلاً فإن ضبط اللسان من الخصومة على حد الاعتدال متعذر ، والخصومة توغل الصدر وتهيج الغضب [٤] .

\* **والنجش** : نوع من أنواع البيوع المحرمة ، وهو منهي عنه لما يجز من خصومة واختلاف ، وكذلك أن يبيع الرجل على بيع أخيه ، فتحل بذلك الخصومة وتفسد المودة وينتفي الصفاء .

\* **والظلم** : ظلمات يوم القيامة ، فالنفوس التي تعين هضم الحقوق وتكبت الحريات أتى لها أن تلتقي وتتقرب وتتآلف بل يكيد بعضها لبعض ويتربص بعضها للآخر ، فلا أمن ولا استقرار مع الظلم والظلام .

\* **الاحتقار والاستهزاء** : مرض متأصل في ضعاف النفوس فالحقارة والدناءة تفرز نوعاً من الاستعلاء على محيطها الخارجي ، وذلك لتعذر رؤية قوة النفس من داخلها ، فأرادوا تحقيق ذلك في الخارج فظهر عن طريق احتقار الغير والاستهزاء بهم .

وقد قال ﷺ : (( بحسب امرئ من الشر أن يحتقر أخاه المسلم )) (١) .

ومن صور الاحتقار الواضحة الجلية ، الاستهزاء بالغير ، الذي حرمه سبحانه فقال : " يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ... ) " (الحجرات) وذلك يكون بالتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالفعل والقول ، وقد يكون بالإشارة والإيحاء .

وقد علم رسولنا صحابته عدم الاستهزاء والضحك على الغير مهما كان السبب ، (( روى عبد الله بن أبي ربيعة قال : سمعت رسول الله وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال : علام يضحك أحدكم مما يفعل ))(٢) .

ومن أكثر الذنوب خطورة في نفس الصفاء ، وإيغار الصدور بالغل والغش سلاسل عيوب يجز بعضها البعض ، وتبدأ بسوء الظن وتنتهي بالغيبة مارة بالتجسس ، سنفرد لكل منها مبحثاً للتحذير منها .

## سوء الظن

### وهو من الأمور التي تخدش الصفاء وتنسفه وتنفيه :

(( فسوء الظن من أكبر العقبات التي تحول بين ترابط المسلمين فيما بينهم فإياك وإياه وذلك بقولك أظن كذا وأعتقد كذا وتدع المحكم من المنقول والصريح لما تشابه عندك فهذا شأن كل مبطل والأحرى بك وقافاً عن الشبهات ولا تظن بكلمة خرجت من في أخيك المسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً ))(١) .

(( وهو حرام - مثل سوء القول فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك ))(٢) .

فقد قال سبحانه : " يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ... " (الحجرات ١٢) .

وجعل عليه الصلاة والسلام سوء الظن من أكذب الحديث ، فقال : (( إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ))(٣) ( فلقد عدّ النبي ﷺ سوء الظن أكذب الحديث ، والمسلم الحق الصادق لا يجري على لسانه حديث فيه رائحة الكذب فكيف يقع في أكذب الحديث ؟! والهدي النبوي . ، إذ يحذر من الظن ويعده أكذب الحديث ، يوجه المسلمين إلى الأخذ بالظاهر من أعمال الناس والبعد

عن رميهم بالظنون والشكوك والأقاويل و الأوهام (٤) والظان في الناس ليس له مستند في ظنه إلى الزعم وقال عليه الصلاة والسلام : بئس مطية الرجل زعموا ((٥) .

## الأسباب المؤدية لسوء الظن :

١- فساد في الطبع ولؤم في النفس لا يقابل أي عمل من المسلمين إلا حملة ما لا يحتمل وفسره بما يوافق طبعه كما قال زهير بن نعيم : (( يخطئ فيحب أن الناس قد أخطأوا )) (١) (و يدعي أن ذلك من فطنته وسرعة تنبهه وذكائه وأن المؤمن يرى بنور الله وعلى التحقيق أنه ناظر بغرور الشيطان وظلمته) (٢) .

٢- الغفلة عن عيوب النفس وتتبع عيوب الناس ، فلا يرى شيئاً في الناس إلا وأساء الظن بهم ، وهذا والعياذ بالله من صفات المنافقين ، كما قال ابن المبارك : (( المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات )) (٣) .

## من صور سوء الظن :

وفي حياتنا اليومية نواجه العديد من المواقف والصور في التعامل مع الناس التي يفرح بها إبليس ويجعل منها سبباً لسوء الظن ثم التشاحن والخلاف وإيغار الصدور .

وإن نظرنا لهذه المواقف بعين العقل نجدها لا تستحق ما يترتب عليها من شر وخلاف .

لكن ظلمة النفوس تزج بالفكر في غيابها سوء الظن والاحتمالات والأسباب والدوافع ويزينها الشيطان ويكبرها ويشعل فتيل الفتنة ويؤججها في القلوب حتى لا يبقى للعقل والتفكير حيز يناقش في وضوح وجلاء أساس ذلك الموقف وملابساته .

## ومن هذه المواقف :

سوء الظن بأخيك المسلم عندما يُخلف وعداً التزم به معك ، فيلقي الشيطان في نفسك أن أخاك مفرط وغير مهتم ، ويزداد سوء الظن عندما تلتقي بأخيك بعد ذلك فلا يعتذر منك لتخلفه عن الموعد ، فيتأصل في نفسك بغضه وتنطبع فيها تلك الصور البشعة التي كوَّنتها عنه ولو حرصت بكل هدوء ويسر سؤاله عن سبب تغييه ، مع تقديره واحترامه ، لعرفت السبب ولزال عنك كل ما تجده في نفسك على أخيك .

ومن الصور أيضاً : إذا تحدثت أو نشرت كتاباً أو رسالة ثم عقب أحدهم بخلاف رأيك أو تصحيح لبعض ما ذكرت ، فنسيء الظن بأن المعقب لم يرد إلا إظهار علمه ومكانته والانتقاص من المتحدث أو المؤلف ، وما ذلك إلا من وساوس الشيطان . والأمر سهل جداً ، فهو قد أضاف شيئاً من العلم فإن كان حقاً شكرناه عليه ، وإن كان غير ذلك رددناه عليه بصورة مقبولة ، ونشكره على اهتمامه وتعقيبه .

ومن صور سوء الظن : عند رؤيتك لأخيك في مكان شبهة ، فتسيء الظن به، مع أنه لم يتضح لك خطؤه . ولا يحق لك التحقق بل يحرم عليك التيقن والتأكد ، وإن صح ما رأيت فالواجب الستر والنصح وعدم التشهير . والواجب على المسلم الابتعاد عن مواطن الشبهات ، لكي لا يساء الظن به ، فقد قال عمر رضي الله عنه : (( من أقام نفسه مقام التهمة فلا يلومن من أساء به الظن ))(١) .

**\* موقف أخير :** يتكرر حدوثه بأن تسيء الظن بأخيك أنه لم يبادرك الاهتمام في السلام والتحية

وخصوصاً عند مقدمك من مكان بعيد فيلقاك أخوك ببرود تام بدون حرارة اللقاء ، فرما دخلت وساوس الشيطان تؤلبك على أخيك أنه لا يهتم بك وقد تغير قلبه عليك وأنه و أنه ... مع أن كل ذلك لا أساس له من الصحة ، والواجب عليك رد كل هذه الاتهامات وإعذار أخيك بأنه كان مشغول البال والفكر وأن أمراً ما ألم به وقد حدث أن سعد بن أبي وقاص مر على عثمان بن عفان في المسجد فسلم عليه فلم يرد عثمان السلام ، بل ملأ عينيه منه ثم صرف بصره عنه ، فأتى سعد عمر فقال : يا أمير المؤمنين هل حدث في الإسلام شيء ؟ قال : وما ذاك قال سعد : إني مررت بعثمان آنفاً فسلمت فلم يرد عليّ ، فأرسل عمر إلى عثمان فأثابه ، فقال : ما يمنحك أن تكون رددت على أخيك السلام ؟ قال : ما فعلت قلت : بلى حتى حلف كلُّ منهما ، ثم إنه ذكر فقال : بلى فاستغفر الله وأتوب إليه إنك مررت بي آنفاً ، وأنا أحديث نفسي بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ ، لا والله ما ذكرتها قط إلا تغشى بصري وقلبي غشاوة . فقال سعد : فأنا أنبئك بها . إن رسول الله ذكر لنا أول دعوة ثم جاءه أعرابي فشغله ، ثم قام رسول الله فاتبعته ، فلما أشفقت أن

يسبقني إلى منزله ، ضربت بقدمي الأرض فالتفت إليّ فالتفتُ فقال : أبو إسحاق ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : فَمَهْ ؟ قلت : لا والله إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة ثم جاء هذا الأعراي ، فقال : نعم دعوة ذي النون " ( لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ) " (الأنبياء ٨٧) فإنها لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له ))(١)

## مقام حسن الظن في الإسلام :

حسن الظن بين المسلمين من الواجبات عليهم لقوله سبحانه وتعالى : " (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين) " (النور ١٢) .

(إنّ هذه الكلمات القدسية تحكي ما حدث من إفك وافتراء على الصديقة بنت الصديق ، وكان ذلك الإفك ناشئاً من سوء الظن المتعاون مع النفاق الوضع ، وتشير الآيات إلى أن حسن الظن كان أولى وأجدر بالمسلمين ، وكان الواجب على من سمع هذا الافتراء القدر أن يرده قائلاً : هذا إفك مبين)) (١) .

كما فعل أبو أيوب الأنصاري مع زوجته حيث قالت له امرأته أم أيوب : ( يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها ؟ قال : نعم وذلك الكذب أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ قالت : لا والله ما كنت لأفعله . قال : فعائشة والله خيراً منك )) (٢) .

## \* الخلوص من سوء الظن :

والمخرج من سوء الظن بأن تتبع الإرشادات التالية :

١- أن لا تحقّقه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح .

٢- وإذا ظهر لك وسواس سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان وأن ما رأيته يحتمل الخير والشر (٣) .

٣- أن لا تحمل فعله على وجه فاسد ما أمكن أن يحمل على وجه الخير .

٤- أما إن انكشف يقين ومشاهدة فاحمله على سهو ونسيان إن أمكن (١)

ويجب عليك أن تعذر أخاك سبعين عذراً ، فإن لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك ، فتقول لقلبك : ما أقساك يعتذر إليك أخوك سبعين عذراً فلا تقبله فأنت المعيب لا أخوك (٢) .

٥- بالابتسامة وبانشراح الوجه عند اللقاء ، فإن فيها حماية أكيدة من الوقوع في أخطاء الظنون والتعرض لسهام الوسوسة ، وما اكفهر وجه وعبس إلا ترك في نفس المقابل هيبة من التصارح والتناصح .

أفلا ترى أن الطلاقة جُنة من سوء ما تجني الظنون ومعقل

٦- ثم يحرص على أن يقرن بالابتسامة والطلاقة بحياء لتمييز عن ابتسامة الاستصغار التي قد يزينها الشيطان ، بل يتخلق بخلق البهاء زهير حين يفخر فقال :

إذا قلت قولاً كنت للقول فاعلاً وكل حيائي كافلي وضميني

تبشر عني بالوفاء بشاشتي وينطق نور الصدق فوق جيبني

فهما حياء وبشاشة يبدوان معاً (٣) .

التجسس



\* (ومن ثمرات سوء الظن : التجسس ، فإن القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضاً منهي عنه ) (١) .

فقد عقب سبحانه بعد النهي عن سوء الظن النهي عن التجسس فهي سلاسل العيوب تجر بعضها بعضاً ، قال سبحانه : " ( ولا تجسسوا ) " ( الحجرات ١٢ ) .

قال ابن عباس : (( ولا يتبع بعضكم عورة بعض ، ولا يبحث عن سرائره يبتغي بذلك الظهور على عيوبه ولكن اقموا بما ظهر لكم من أمره وبه فاحمدوا أو ذموا لا على ما لا تعلمونه من سرائره )) (٢) .

### ما هو التجسس ؟

والتجسس : (( أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل إلى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف له ما لو كان مستوراً عنه كان أسلم لقلبه ودينه )) (٣) .

### \* حكمه :

وهو محرم لنهي القرآن والسنة عنه .

فلا يحق لنا التجسس على الناس وإن علمنا أنه ( تستر بالمعصية في داره وأغلق بابه لم يجز أن يتجسس عليه إلا أن يظهر ما يعرفه كأصوات المزامير .. ) (٤)

(( وليس لأحد أن يأخذهم إلا بما ظهر منهم من مخالفات وجرائم وليس لأحد أن يظن ويتوقع أو حتى يعرف أنهم يزاولون في الخفاء مخالفة ما ، فيتجسس عليهم ليضبطهم وكل ماله عليهم أن يأخذهم بالجريمة عند وقوعها وانكشافها مع الضمانات الأخرى التي ينص عليها بالنسبة لكل جريمة )) (١) .

وهذا لأن التجسس إذا وجد في مجتمع ما فسد هذا المجتمع وتفككت أواصره وفسدت قلوبهم واختلفت وساءت طباعهم وهذا مصداق قول النبي ﷺ : (( إنك إذا تتبع عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم )) (٢) .

قال المناوي : (( ومقصود الحديث حث الإمام على التغافل وعدم تتبع العورات )) (٣) .

هذا في حق الإمام مع رعيته فكيف بالرعية بعضهم مع بعض فما الداعي إلى التجسس على الناس

(( إلا الداء الدفين وهو الحقد والحسد ، ومن في قلبه سخيمة على مسلم فإيمانه ضعيف وأمره في خطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله )) (٤) .

فالستر على المسلم وعدم التشهير به واجب .

\* ما هو الستر ؟

(( والمعنى الأخلاقي للستر : هو أن يكون في الإنسان روح الميل إلى إخفاء ما ينبغي إخفاؤه وأن يتنزه عن الرغبة في إظهار العورات أو إبداء العيوب أو كشف الحرمات )) (٥) .

\* التهديد لمن يكشف العورات :

ونهى القرآن كما ذكرنا عن التجسس ورغب في الستر ودعا إليه وتهدد بمن يكشف العورات

ويتبعها ، فقال سبحانه : " (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ) " (النور ١٩) . (( وفي الآية وعيد شديد لأولئك الذين يكشفون العورات ويتبعون العيوب ويعملون على إذاعة الفواحش والآثام بين المؤمنين حتى يسهل على الراغبين فيها أو المتطلعين إليها وتصبح أمراً معروفاً مألوفاً ، يتجرأ عليه من كان بالأمس يجهله أو يهابه أو يخشاه )) (١) .

\* اهتمام الإسلام بالستر :

[ وما يشير إلى حرص المجتمع الإسلامي على الستر في كل حالة قول النبي : (( يا هزال لو سترته بثوبك لكان خير لك )) (٢) ] (٣) .

وقد بَوَّبَ له أبو داود في سننه باب ((الستر على أهل الحدود)) وساق حديث هُزَال مع ما عرّف عندما استشاره ماذا يفعل فأشار عليه أن يذهب إلى النبي لكي يطهره فلما ذهب إلى النبي واعترف أمامه بالزنا أقام عليه الحد فلما علم النبي بما فعله هُزَال قال له : لولا سترته بثوبك ولم تجعله يحضر إلى النبي ليقيم عليه الحد ، وهذا فيمن ارتكب حداً من حدود الله .

فكيف بمن هو آمن في سره ظاهر عليه الصلاح لا نعرف إلا الظاهر منه : التقوى والعمل الصالح ولم نتأكد برؤية أو سماع يقيني سوى أقاويل سمعناها من هنا وهناك نبيح لأنفسنا أن ننشر هذا القول ونشهر به عند كل من نعرف ومن لا نعرف ، بل يتجرأ أحدهم بأن يراقب المسلمين ويريد التجسس عليهم لأنه سمع أنهم يعملون أعمالاً تنافي الدين ، فيرى أنه من الواجب أن يكشف ما يفعلون ، وهذا مخالف لما أمر به النبي وما يفعله صحابته .

(( فهذا عبد الرحمن بن عوف قال : خرجت مع عمر رضي الله عنه ليلةً في المدينة فيبينما نحن نمشي شب لنا سراج فانطلقنا نؤمه ، فلما دنونا إذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات ولغط فأخذ عمر بيدي وقال لي : أتدري بيت من هذا ؟ قلت : لا ، قال : هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شربٌ فما ترى ؟ قلت : أتينا ما نأمن الله تبارك وتعالى عنه ، قال الله تعالى : " ( ولا تجسسوا ) " فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم )) (١) [ وقد روى زيد بن وهب قال : (( أتى ابن مسعود فقيل هذا فلان تقطر لحيته خمرًا ، فقال

عبد الله : إنا نأمن عن التجسس ولكن إن ظهر لنا شيء نأخذ به ))

وهذا دُخِينًا كاتب عقبة بن عامر قال : (( كان لنا جيران يشربون الخمر فنهيتهم فلم ينتهوا ، فقلت لعقبة بن عامر : إن جيراننا هؤلاء يشربون وإني نهيتهم فلم ينتهوا وأنا داعٍ لهم الشرط ، فقال : دعهم ، ثم رجعت إلى عقبة مرة أخرى فقلت : إن جيراننا قد أبوا أن ينتهوا عن شرب الخمر وأنا داعٍ لهم الشرط ، قال : ويحك ، دعهم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (( من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا مؤودة )) (٢) ] .

وقد ورد الوعيد الشديد لمن تتبع عورات المسلمين وقد وصفه النبي ﷺ أنه لا إيمان في قلبه فقال : (( يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته )) (١) [t1] .

وجعل النبي ﷺ الجزاء العظيم فيمن ستر على مسلم أو ذبّ عن عرضه فقال : (( من نصر أخاه بالغيب نصره الله في الدنيا والآخرة )) (٢) .

وقال : (( من ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة )) (٣) .

وقال : (( من ردّ عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار )) (٤) .

وقال : (( من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة )) (٥) .

\* ومن أنواع ستر المسلم :

أن يسكت عن إفشاء سرّه الذي استودعه وله أن ينكره وإن كان كاذباً فليس الصدق واجباً في كل مقام ، وقد قال عليه السلام : (( من ستر عورة أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة )) .

وقال : (( إذا حدّث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة )) (٦) وقال : (( المجالس بالأمانة )) (٧) .

[ وقيل لبعضهم : كيف حفظك للسر قال : أنا قبره فإن صدور الأحرار قبور الأسرار . وأفشى بعضهم سرّاً له إلى أخيه ثم قال له : حفظت فقال : بل نسيت ] (٨) .

ومن غرق في أحوال التجسس ، فلا متنفس له حتى يذيع ما عينه ، ويبداً في خطر ماحق ، ومعصية عظيمة ، ألا وهي الغيبة .

إذا ظهرت الغيبة ارتفعت الأخوة في الله (( ١ ))

قالها الفضيل بن عياض وهي كلمات خالدة على مر الدهور و الأزمان ما حلت الغيبة في مجتمع إلا وهي نذير شؤم وفناء لذلك المجتمع .

فالغيبة تورث الأحقاد وتوغر الصدور وتنفر بين الأحبة ، فالواجب الابتعاد عنها والتحذير منها .  
وقد نهي عنها سبحانه وتعالى حيث قال : " ( ولا يغتب بعضكم بعضاً أيح أحكم أن يأكل لحم  
أخيه ميتاً فكرهتموه ) " (الحجرات) .

(فنقر سبحانه من الغيبة تنفيراً شديداً فهو (( يعرض مشهداً تتأذى منه أكثر الفوس كثافة وأقل  
الأرواح حساسية ، مشهد الأخ يأكل لحم أخيه .. ميتاً .. ثم يبادر فيعلن أنهم كرهوا هذا الفعل  
المثير

للاشمئزاز ، وأنهم إذا كرهوا الغيبة )) (٢) .

وتنوعت صور النهي عن الغيبة في الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ ، فقد نهي وحرم عليه الصلاة  
والسلام الغيبة بجميع أنواعها فقال : (( كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه )) (٣) ))  
والغيبة تتناول العرض ((٤) .

ومن تناول الأعراض بالهتك والغيبة فقد وصل إلى أربى الربا ، حيث قال عليه الصلاة والسلام :  
(( إن أربى الربا نيف وسبعون باباً أهونهن باباً من الربا مثل من زنى بأمه في الإسلام ودرهم الربا أشد  
من خمس وثلاثين زنية وأشد الربا وأربى الربا وأخبث الربا انتهاك عرض المسلم وانتهاك حرمة  
((٥)

ومن استمر يلج هذا الباب واعتاد دخوله وأصبح من طبعه وسجيته قد نفى عنه عليه الصلاة  
والسلام الإيمان حيث قال : (( يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ...  
((١)

وإن خرج من هذه الدنيا وفي فمه بقايا من لحوم البشر التي كان يلوكلها ويقتات عليها في حياته فقد  
توعده الله بعذاب في قبره ويوم نشره .

فقال عليه الصلاة والسلام عندما مرّ بقبرين : (( أما إنهما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يغتاب  
الناس وأما الآخر فكان لا يتأذى من بوله )) (٢) .

ويوم القيامة ينتظر ذلك العذاب الذي قال عنه عليه الصلاة والسلام : (( لما عرج بي ربي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم )) (٣) .

وكان السلف الصالح رضوان الله عليهم يشددون في أمر الغيبة ، ولا يسمحون لجلسائهم بالغيبة .

فهذا إياس بن معاوية اغتاب أحد جلسائه ، فقال إياس : أغزوت الديلم ؟ ، فقال : لا قال : فغزوت السند ؟ ، قال : لا قال : فغزوت الهند ؟ ، فقال : لا قال : فغزوت الروم ؟ ، فقال : لا ، قال : سلم منك الديلم والسند والهند والروم ، وليس يسلم منك أخوك هذا )) (٤) .

وعن الربيع بن صبيح ، أن رجلين كانا قاعدين على باب من أبواب المسجد الحرام فمر بهما رجل قد كان مخنثاً وقد تاب مما كان فيه ، فقالا : قد بقي فيه منه شيء ، ثم أقيمت الصلاة فدخلنا فصلينا فجال في أنفسهما ما قالوا فسألا عطاء فأمرهما أن يعيدا الوضوء ، وأن يعيدا الصلاة ، وكانا سائمين فأمرهما أن يقضيا ذلك اليوم )) (١) وقد صح عن عائشة قولها : (( لا يتوضأ أحدكم من الكلمة فيقولها لأخيه ويتوضأ من الطعام الحلال ... )) (٢) .

## صور الغيبة

وفي حياتنا اليومية لا تحلوا مجالسنا إلا بذكر فلان وفلان ، بل نجعلها من أمور العبادة نتقرب إلى الله في غيبة فلان وعلان ، (( وحال لساننا يقول تعال نغتب في الله ساعة )) بدل أن تقول (( تعال نؤمن ساعة )) .

نبيح لنفوسنا غيبة المسلمين بغرض وبدون غرض ، بغرض الإصلاح والدعوة فتتجاوز الحد المسموح له في ذكر ما يراد إصلاحه ونذهب كل مذهب حول هذا الشخص حتى لا يوقفنا إلا الشيع من أكل لحمه والتخمة منه ، وقد قال الفضيل بن عياض : (( الغيبة فأكهة القراء )) (١) .

وفي الساحة الدعوية اليوم نجد أصناف الغيبة لها أشكال وأنماط عجيبة وغريبة يذهل لها الإنسان ويعجب ويقع في متناقضات كثيرة ، يعلم حرمة الغيبة وفظاعة أمرها ، لكنه يسمع الغيبة من أناس لهم الباع الطويل والمقام العالي في علوم هذا الدين . كيف يفعلون هذا ؟! وهؤلاء هم قدواته

وأساتذته ، فيظل يسير على هذا المنوال ، ويتربى الصبي على ما عوّده أبوه من ذكر الناس وغيبتهم حتى يصل في يوم يغتاب أباه ويذكره بالشين والهلاك

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

ويشتكي أخ لأخيه ما فعله به أخوه ، ويتجاوز الحد فيشهر به على كل لسان وينشر الشكوى هنا وهنا ، وهل الشكوى إلا لمن يستطيع أن يرد مظلمتك أو ينصفك ممن آذاك أما أن تجعلها قصتك المسلية لجلسائك لا تدري فيما تحدثهم فتجتر هذه القصة صباح مساء وتحدثهم بها رأيتم ما فعل بي فلان ، سامحه الله ، لم أفعل له شيء ولم أكن أنوي به شراً ، رأيتم كيف تمادى وفعل وفعل .

ويهز الحضور رؤوسهم مستنكرين هذا العمل ويقولون : (( لا لا ليس له حق ... هذا شيء لا ينبغي أن يقوله

وهل فعلكم هذا مما ينبغي فعله ؟ .

ونذكر أهل الفسق والفساد الذين لم يشتهروا بذلك والذين لم يُحكم عليهم بجواز استباحة أعراضهم وغيبتهم فماذا نسمع (( رأيتم ما فعل فلان ؟ الحمد لله الذي عافانا مما هو فيه )) هذه صور عجيبة من العجب بالنفس ومن الغيبة التي قد يظنها خيراً ويظن أن فيه تحذيراً من هذا الفاسق فهل أصبح فاسقاً وهل استبيح عرضه ؟ .

فالواجب الإمساك عن كل مسلم فلا يغتاب ويذكر بسوء ولو أقيم عليه حد من الحدود .

إلا إذا كان ممن اشتهر بمعصيته ، واستباح العلماء غيبته .

فهذا ما عزر ﷺ عندما رُجم . (( سمع نبي الله رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه : انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجم الكلب فسكت عنهما ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال : أين فلان وفلان ، فقالا : نحن ذان يا رسول الله ، فقال : انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار ، فقال يا نبي الله من يأكل من هذا ؟ قال : فما نلتما من عرض أخيكما آنفاً أشد من الأكل منه ، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها

(( (١) .

فمع أن ما عزر ارتكب حداً من حدود الله إلا أن عمله هذا لا يحق لنا أن نستبيح عرضه ونغتابه ، وهو على حاله تلك ، فكيف بأهل الصلاح والستر والذين لم يعرف عنهم إلا التقوى والعمل الصالح ولم ير منهم ما يريبهم في دينهم أو دنياهم . كيف نستبيح لأنفسنا غيبتهم والنيل من أعراضهم ، وإن رأينا ما يربينا هل يحق لنا بذلك انتهاك أعراضهم ؟ .

وهذه الغامدية عندما رجمت (( قذفها خالد بن الوليد فرضاً رأسها فتتضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع نبي الله ﷺ سبه إياها فقال : مهلاً يا خالد فوا الذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم أمر بها فصلي عليها ودُفنت )) (١) - وصاحب المكس هو المماطل لحقوق الناس والآكل لأموالهم وجريمته عظيمة فلو تاب لتاب الله عليه .

ومن الغيبة وصف المسلم ببيئاته وحجمه :

فعن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله إن صفية امرأة - وأشارت إلى أئمة يعني قصيرة - فقال : (( لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته )) (٢) .

ودخلت امرأة على عائشة أم المؤمنين وعندها عائشة بنت طلحة وكان ثوبها طويل فعندما خرجت قالت عائشة : ما أطول ثوبها فقالت أم المؤمنين : (( اغتبتها أدركها تستغفر لك )) (٣) .

وروى أبو هريرة أن رجلاً قام عند رسول الله ﷺ فأرأوا في قيامه عجزاً فقالوا : يا رسول الله ما أعجز فلان فقال رسول الله : (( أكلتم أخاكم واغتبتموه )) (٤) .

ومن أشد أنواع الغيبة في دين الشخص وصلاحه .

يقول القرطبي : (( إن العلماء من أول الدهر من أصحاب رسول الله والتابعين بعدهم لم تكن الغيبة عندهم في شيء أعظم من الغيبة في الدين لأن عيب الدين أعظم العيب فكل مؤمن يكره أن يذكر في دينه أشد مما يكره في بدنه ، وكفى رداً لمن قال هذا القول - أي بجواز الغيبة في الدين - قوله عليه السلام : (( إذا قلت في أخيك ما يكره فقد اغتبتته ... )) فمن زعم أن ذلك ليس بغيبة فقد



رد ما قال النبي ﷺ نصاً ، وكفى بعموم قول النبي : (( دماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام )) وذلك للدين والدنيا فمن خص من ذلك شيئاً دون شيء فقد عارض ما قال النبي (( (١) ) .

ومن الغيبة :

أن تستمع لمن يغتاب أمامك وأنت تسمع له ولا تنكر عليه ولا تنصر من يُغتاب أمامك ،  
والسكوت عن الذب عن أخيك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الأخوة ، وقال بعضهم : (( ما ذكر أخ لي بغيب إلا تصورته جالساً فقلت فيه ما يحب أن يسمع لو حضر )) (٢)

### \* الخلوص من الغيبة :

١- [ التوبة من الغيبة : لا خلاف أن الغيبة من الكبائر وأن من اغتاب أحداً عليه أن يتوب إلى الله والغيبة مظلمة وعليه الاستحلال منها - لقول النبي ﷺ : (( من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليتحلل منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يأخذ من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات

صاحبه فزيد على سيئاته )) (٣) ] (٤) .

٢- الانشغال بعيوب النفس [ يتدبر فيه نفسه فإن وجد فيها عيباً اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله ﷺ : (( طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس )) ] (٥) .

٣- يتذكر أن كل كلمة يقولها فعليه رقيب عتيد وأنه محاسب عليها " ( ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ) " (القمر ١٨) . (( إن المسلم المستشعر معاني هذه النصوص ليهتز فرقاً من مسؤولية الكلمة التي تطير عنه ، ولذلك تراه متحفظاً دوماً فيما يصدر عنه من قول ، فقد تهوي به إلى درك جهنم )) (١) .

٣- سد باب الظنون لقول سعد بن عبد الله : (( من أراد أن يسلم من الغيبة فليسد على نفسه باب الظنون ، فمن سلم من الظن ، سلم من التجسس ومن سلم من التجسس سلم من الغيبة )) (٢) .

## الفصل الخامس

### الطريق إلى الصفاء

أن الوصول للصفاء والتخلق به أمر يسير على من يسره الله عليه ، ومع ذلك فهو من الأمور التي لا تطاق كما عبّر عنها عبد الله بن عمرو بن العاص . لأن تصفية القلوب تحتاج إلى بذل جهد ومشقة . ومن أهم الطرق التي نصل بها لصفاء قلوبنا التالي

البعد عن المعاصي والتطهر منها والاعتصام بجبل الله فتفتح إثر ذلك أبواب الرحمت وترتبط القلوب بالألفة والمحبة .

تطهير النفوس من كل غائلة حسد وغل ، والرضى بما قدره الله على عباده ، بل والسرور بما ينالوه من النعيم والدعاء لهم بالنماء والبركة ، كما كان يفعله ابن عباس رضي الله عنه .

محاربة بوادر الخلاف والنزاع وهذا مما سنّه لنا المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ثم إن وقع خلاف - لا سمح الله وهو أمر طبيعي الحدوث في المجتمعات البشرية ولربما يصل الخلاف والنزاع إلى القتال - نعمل جاهدين لإزالة ذلك الخلاف ، ونجتهد للإصلاح بين المسلمين ولو أدى ذلك إلى تأخير بعض العبادات فالإصلاح بين المؤمنين أولى بنص حديث رسول الله ﷺ .

نشر منهج الإسلام في التآخي والتصافي وعدم الخلاف ، والترغيب في المحبة في الله والتحذير من الاختلاف والشقاق ، ولو تبني هذا الأمر إحدى الجهات المسؤولة أو كون له جمعياً متخصصة ، لما له من أمر مهم في الإسلام .

**النصح للمسلمين :** وهو من أساس بقاء صفاء القلوب وطهارتها لعلمهم أن هذا النصح نابع من إشفاق بعضهم على البعض الآخر ، فتزداد بذلك المحبة وتتقوى أواصر الألفة .

والنصح للمسلمين يستوجب الرفق بهم والشفقة عليهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه .

فقد قال سبحانه واصفاً المجتمع الإيماني الأول : " (أذلة على المؤمنين ) " ذلة .. ليست صغاراً ولا خنوعاً بل تواضع وحباً ورحمة ، وحرصاً على هدايتهم .

وهو بهذا العمل لا يفخر عليهم بل يتواضع لهم ويستمع لأحاديثهم ويهتم بمومهم ويفرح بفرحهم وقد قال ﷺ : (( إن الله تعالى أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على

أحد ))(١) وقال عليه الصلاة والسلام : (( الرفق لا يكون في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه ))(٢) .

**العفو والتسامح :** ولا تخلو الحياة من منغصات فلربما تجد ما نال منك أو اعتدى على حق لك ، فاصفح عن خطئه وتجاوز عن زلله ، وليكن لك في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، فقد كان لا يغضب لنفسه أبداً ، فهذا الأعرابي يجذبه من ردائه عليه الصلاة والسلام ويؤثر الرداء في عاتقه الشريف ثم إنه ينظر إليه ويتسم ، وهو بذلك يمثل لقوله سبحانه : " ( خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ) " (الأعراف ١٩٩) ، خذ العفو من أخلاق الناس ولا تنتظر منهم كلمة احترام وتبجيل بل إن كفوا عنك شرهم فاحمد لهم ذلك ولا تترب عليهم وقد مدح الله سبحانه من يعفو ويصفح ، حيث قال : " ( والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب

الحسنين ) " (آل عمران ١٤٣) ، فقد يكظم الإنسان غيظه ولكن لا يعفو ،

والعفو أسمى وأعلى ، وإن لم تعفو تحول كظم الغيظ إلى حقد دفين يعمي ويصم ، لذلك عقد سبحانه مغفرته وجعلها مرتبطة بالعفو والصفح فقال : " ( ... وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ) " (النور ٢٢) .

وقال ﷺ : (( وما زاد الله عبد بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله ))(١) .

**عدم الإيذاء :** فإن أردت استيفاء حق لك فخذهُ دون إيذاء للمؤمنين ، فمن آذى مسلماً قد توعده الله بعقاب شديد " (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) " (الأحزاب ٥٨) ، وجعل كف الأذى عن المؤمنين صدقة تتصدق بها على نفسك (٢) بل وجعل النعيم في الجنة لمن أبعد أذى عن المسلمين لقوله ﷺ : (( لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس )) (٣) .

**لا تستمع لبلاغات الناس على أحد من المسلمين ، ولا تسمح لأحد أن يغتاب مسلماً في مجلسك .**

**تبسم إذا لقيت المسلمين :**

ليكن البشر يعلو محياك دائماً والى الناس بوجه طلق ، فقد جعل عليه الصلاة والسلام ذلك من المعروف (( لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلق أخاك بوجه طلق )) (٤) وجعله كذلك صدقة فقال ﷺ : (( تبسمك في وجه أخيك صدقة )) (٥) .

وافرح بقاء إخوانك كفرحك بفتح من فتوح المسلمين فهذا رسولنا عندما لقي جعفر بن أبي طالب ﷺ بعد فتح خيبر قال : (( ما أدري بأيهما أفرح بقدوم جعفر ، أم بفتح خيبر )) (١) .

وكان عليه الصلاة والسلام يلقي أصحابه متبسماً حتى أن جرير بن عبد الله البجلي قال : (( ما رأي النبي ﷺ إلا تبسم في وجهي )) (٢) .

**[ وقال الحسن البصري : من الصدقة أن تلقى أخاك ووجهك إليه منطلق .**

وقال سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي : (( يعجبني من القراء كل سهل طلق مضحك فأما من تلقاه ببشر ويلقاك بضرس يمن عليك بعمله فلا كثر الله في الناس أمثال هؤلاء )) [ (٣) ] .

**أكثر من السلام :** أكثر من السلام على كل من لقيت من المسلمين فهو مما يزيد الألفة والمحبة ويزيد الترابط بين المسلمين لقوله صلى الله عليه وسلم : (( ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم )) (٤) ، وطلب منا الإكثار منه ولو كنت مع أخيك وحالت بينكم شجرة ثم لقيته فسلم عليه (٥) .

ومن تمام السلام المصافحة وهي تزيد في المودة كما قال الحسن البصري : (( المصافحة تزيد في المودة ، وكلما غمزت به صاحبك أشد تحاتت الذنوب )) (٦) ، وقال ﷺ : (( إن المؤمن إذا لقي أخاه المؤمن فسلم عليه وأخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياهما كما تتناثر ورق الشجر )) (٧) .

**وتعاهد المسلمين بالزيارة :** فإنها مما تزيد من ترابط المؤمنين وقد قال ﷺ : (( زر غيباً تجد حياً )) (١) وغيباً : أي بين الفترة والأخرى ولا تثقل عليهم بذلك .

**وإذا أحببت أحد من المسلمين فأخبره بذلك فإنه مما يزيد في المودة لقوله عليه الصلاة والسلام :** (( إذا أحب أحدكم أخاه في الله فليعلمه . فإنه أبقي في الألفة وأثبت في المودة )) (٢) .

**وإن استطعت أن تهدي لأخيك فافعل فإنها تزيد في الألفة لقوله ﷺ :**

(( تهادوا تحابوا )) (٣) .

وأخيراً وقبل كل شيء عليك بالدعاء ليغفر الله لنا خطأنا وتدعو لإخوانك بالمغفرة ، وتدعو كذلك بأن يزيل الله عن قلوبنا الغل والحسد " (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) " (الحشر ١٠) .

## الفصل السادس

### نماذج للصفاء

قد أدركنا ما للصفاء من أهمية ومكانة في الإسلام حتى جند للدعوة إليه جميع الوسائل الممكنة ووظف في سبيل الوصول له كل حال وقول .

فلا يكاد المسلم لينثني عن الإصغاء لتوجيهات الإسلام إلى الصفاء حتى تبرز أمامه تلك النماذج العملية للصفاء فتسوقه شوقاً وحباً ليقدم إلى واحة الصفاء فيسعد تحت ظلاله الوارفة وثماره اليانعة .

ولعل الجريمة الأولى على ظهر هذه البسيطة أول نموذج في الصفاء كما أنه أول نموذج في الحق والحسد ومظاهر الإفساد بين البشر .

قص علينا القرآن الكريم هذه القصة ، فقال سبحانه : " (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين (٢٧) لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (٢٨) إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين (٢٩) فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين (٣٠) ) " (المائدة) .

فكل تال لهذه الآيات يلحظ سريعاً أول ما يلحظ حقد قابيل وحسده وسفكه لدم أخيه ، لكن لنجيل النظر في مكان آخر من القصة لننظر إلى موقف التسامح والألفة في موقف هابيل ، يتهجم أخوه عليه ليقتله وهو يقول له " ( إنما يتقبل الله من المتقين ) " هكذا في براءة ترد الأمر إلى وضعه وأصله ... وفي توجيه رقيق للمعتدي أن يتقي الله ، وهداية له إلى الطريق الذي يؤدي إلى القبول ، وتعريض لطيف به لا يصرح بما يخدشه أو يستثيره ثم يمضي الأخ المؤمن الوديع المسلم يكسر من شره الهائج في نفس أخيه الشرير " ( لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا

ببأسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العلمين ) " وهكذا يترسم نموذج من الوداعة والسلام والتقوى ، في أشد المواقف استجاشة للضمير الإنساني ... ولقد كان في هذا القول اللين ما يفت الحقد ويهدئ الحسد ، ويسكن الشر ويمسح على الأعصاب ... فليس من شأني ولا من طبعي أن أفعل هذه الفعلة لك فخطر القتل لا يدور في نفسي أصلاً - فليس من شأني ولا من طبعي أن أفعل هذه الفعلة (١) .

ولذلك أصبح فعل هابيل سنة يحتذى بها في مثل هذه المواقف كما أن فعل أخيه قابيل يستن به شرار الناس ، فقد قال ﷺ : (( لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل )) (٢) .

وفي سنة هابيل قال عليه الصلاة والسلام : (( إنما ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي . قال : أرايت إن دخل علي بيتي فبسط يده ليقتلني ، قال : كن كابن لآدم )) (٣) . فكان فعل هابيل كذلك سنة حسنة يحتذى بها في مثل تلك المواقف .

وقد ذكر العلماء أن أول من عمل بهذه السنة وطبق هذه الآية هو عثمان رضي الله عنه (٤) عندما أعرض عن المنتهجين عليه ولم يبارزهم بالعداء .

وهذا يوسف عليه السلام في حقبة أخرى من التاريخ فعل فيه إخوته ما فعلوا من المهم بالقتل والقذف في الجب والاتهام بالسرقة وبعد ذلك لم يتوان يوسف أن قال : "( لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين )" (يوسف ٩٢) .

(( لا مؤاخذه لكم ولا تأنيب اليوم فقد انتهى الأمر من نفسي ولم تعد له جذور ))(١) . بل لم يكتفي بصفاء القلب وسماحة النفس حتى دعا لهم "( يغفر الله لكم )" .

وينتقل التاريخ سريعاً عبر الزمان والمكان حتى يستقر به المقام في مكة وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على باب الكعبة يوم الفتح ينادي أهلها ما تظنون أي فاعل بكم ( بعد أن كان منكم الإيذاء والاستهزاء والهمز واللمز والطرء والتشريد والتعذيب فماذا ترون أي فاعل )فردوا جميعاً : أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : اذهبوا فأنتم الطلاق . هكذا أعلنها ﷺ لا أحقاد ولا ثارات ولا حقد دفين أكنه لكم ، بل صفاء قلبي وتسامح أخوي لا أريد إلا هدايتكم فلا تكون بالحق والكرامية والترصص ، وهذا من سجيته عليه الصلاة والسلام ، وليس غريباً عليه ذلك ، بل لم ينتقم لنفسه وهو واقع تحت إيذائهم ومكّنه الله منهم عندما قال له جبريل : هذا ملك الجبال إن تأمره أن يطبق عليهم الأخشين لفعل ، فقال : لا ، لعل الله أن يخرج من أصلاهم من يعبد الله ، فكيف وهم تحت سطوته ، فالفغو عند المقدرة من شيم الكرام .

ونماذج تترى من جيل الصحابة رضوان الله عليهم نذكر منها :

أبو دجانة يتهلل وجهه فرحاً عند وفاته ف قيل له ، فقال : ما من عملي أوثق عندي من اثنتين : أما أحدهما فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني وأما الآخر فكان قلبي للمسلمين سليماً (٢) .

والشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وقع بينهما شيء فاعتذر أبو بكر لعمر فلم يقبل عذره فرفع أمره للنبي ﷺ . وندم عمر على فعله فرجع يبحث عن أبي



بكر فوجده عند النبي ﷺ ، فأغلظ الرسول لعمر حتى أشفق عليه أبو بكر وجثا على ركبتيه وقال : أنا المخطئ يا رسول الله أن المخطئ خوفاً على أخيه عمر ، ثم

قال الرسول لعمر : (( يسألك أخوك أن تستغفر له فلا تفعل )) فقال عمر : والذي بعثك بالحق نبياً ما من مرة يسألني إلا وأنا أستغفر له وما من خلق الله أحب إليّ بعدك منه ، فقال أبو بكر : وأنا والذي بعثك بالحق ما من أحد بعدك أحب إليّ منه ... )) (١) .

وربما يصل الخلاف بينهم للقتال لكن النفوس صافية لا حقد ولا حسد فهذا علي بن أبي طالب بعد مقتل طلحة بن عبيد الله في موقعة الجمل ، قام بجانبه وجعل يمسح التراب عن وجهه وقال : عزيز عليّ أبا محمد أن أراك مجندلاً تحت نجوم السماء (٢) .

ودخل على عليّ عمران بن طلحة بعدما فرغ من أصحاب الجمل فرحب به وقال : إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله فيهم : " ( ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على

سرر متقابلين ) " (الحج ٤٧) ، ورجلان جالسان على ناحية البساط فقالا : الله أعدل من ذلك ، تقتلهم بالأمس وتكونون إخواناً ؟ فقال عليّ : قوما أبعد أرض وأسقمها ، فمن هم إذن إن لم أكن أنا وطلحة )) (٣) .

روى الماجشون رحمهم الله قال : (( شهد سعيد بن سليمان عند ابن عمران الطلحي وهو قاض فردّ شهادته ، فلما ولى سعيد شهد عنده ابن عمران فنظر سعيد في شهادته ففكر قليلاً ثم قال لكاتبه : أجز شهادته يا ابن دينار فإن المؤمن لا يشفي غيظه )) (١) .

وجاء رجل إلى أحمد بن حنبل فقال له : نكتب عن محمد بن منصور الطوسي ؟ فقال : إذا لم تكتب عن محمد بن منصور فعمن يكون ذلك - فقال له الرجل : إنه يتكلم فيك ، فقال أحمد : رجل صالح ابتلى فينا فما نعمل (٢) .

ويروي ابن القيم عن شيخه ابن تيمية فيقول : (( وما رأيته يدعوا على أحد منهم - يقصد أعداء ابن تيمية الذين ناصبوه العداء واتهموه بالباطل - قط وكان يدعو لهم وجئت يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه وأشدّهم عداوة وأذى له فنهري وتنكر لي واسترجع ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزّاهم وقال : إني لكم مكانه ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم عليه . ))(٣) .

## الخاتمة

يخيف المداد ولا ينتهي الكلام ، والغرض المعقود له ، والإشارة والتنبيه ، وقد حصل بإذن الله بما ذكر في الصفحات السالفة .

فالمقصود الامتثال والتطبيق وهو الأهم ، ولا محيد عنه ، وإن أردنا خيري الدنيا والآخرة .

وقد مرت معنا صفة قلبية لها تعلق بسلوك الأفراد ، و بها تسعد البشرية ويصل الفرد لمبتغاه ، فإن حصل أكبر قدر من التسامح ، والتغافر ، وصيانة الحقوق ، فقد حاز الفرد جنة الدنيا وهي راحة البال النابعة من صفاء القلب ونقاوته من كل هم وخاطر فاسد .

فمن جمع في قلبه الوسوس والأحقاد . لم يهنأ براحة بال ، وطيب عيش .

فإن ظفر بجنة الدنيا ، استطاع المضي قدماً للإنتاج بل للإبداع في جميع مناحي الحياة الدعوية ، والجهادية ، والاجتماعية ، والعلمية ، والمالية ...

وبذلك تسعد المجتمعات المسلمة وتتطور للأفضل ، وتسود العالم ، وتعود للريادة التي جانبتهما ردحاً من الزمان ، بسب ما امتلأت به القلوب من حقد وأثرة وحسد ..

فما هلك قوم وذلوا إلا بسوء طويتهم ، وأثرتهم حتى لا يبقى مجال للإنتاج والإبداع ، لأن كل فرد مشغول بالنظر فيما أنعم الله به على غيره ..

وكل مجتمع يتربص بالآخر الدوائر .

فلنترك كل سلبياتنا جانباً ، ولنحقق الصفاء في حياتنا

ولنصل بعد إذ لمبتغانا .

● والحمد لله رب العالمين \*

## ثبت المراجع

(١) الأخوة - جاسم بن محمد مهلهل - ط الثالثة ١٤٠٦ هـ - دار الدعوة .

(٢) أدب الدنيا والدين - علي بن محمد المارودي - ط الخامسة ١٤٠٦ هـ - مكتبة مصطفى الباي الحلبي وأولاده .

- (٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة - علي بن محمد الجزري - دار الفكر .
- (٤) إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان - لابن القيم الجوزية - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض .
- (٥) آفات على الطريق - د . السيد محمد نوح - ط الأولى ١٤٠٧ هـ - دار الوفاء للطباعة
- (٦) البداية والنهاية - لابن كثير - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - دار الكتب العلمية بيروت .
- (٧) تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي - محمد بن عبد الرحمن المبارك فوري - الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ - دار الفكر .
- (٨) تفسير القرآن العظيم - أبي الفداء إسماعيل بن كثير - الطبعة الأولى - دار القلم بيروت .
- (٩) جامع البيان في تفسير آي القرآن - محمد بن جرير الطبري - دار الفكر ١٤٠٥ هـ .
- (١٠) الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد القرطبي - دار إحياء التراث العربي - ١٩٦٦ م .
- (١١) الجامع لشعب الإيمان - لأبي بكر بن الحسين البيهقي - تحقيق مختار أحمد الندوي - الدار السلفية - الطبعة الأولى ١٤١١ هـ .
- (١٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي - لابن قيم الجوزية - ط الثالثة ١٤٠٠ هـ - دار الندوة الجديدة
- (١٣) حياة الصحابة - .
- (١٤) خلق المسلم - محمد الغزالي - ط التاسعة ١٣٩٤ هـ .
- (١٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني - ط الرابعة ١٤٠٥ هـ - المكتب الإسلامي .
- (١٦) شخصية المسلم - محمد علي الهاشمي - دار القرآن الكريم ١٤٠٣ هـ .

(١٧) صحيح الجامع الصغير وزيادته - مُحمَّد ناصر الدين الألباني - ط الثانية ١٤٠٦ هـ - المكتب الإسلامي

(١٨) صحيح سنن ابن ماجه - مُحمَّد ناصر الدين الألباني - ط الأولى ١٤٠٧ هـ - مكتبة التربية الرياض إشراف المكتب الإسلامي .

(١٩) صحيح مسلم بشرح النووي - - دار الفكر - ١٤٠١ هـ .

(٢٠) الصمت - ابن أبي الدنيا .

(٢١) طبقات ابن سعد - مُحمَّد بن سعد - دار بيروت ١٤٠٥ هـ .

(٢٢) العوائق - مُحمَّد أحمد الراشد - ط الثالثة ١٤٠١ هـ مؤسسة الرسالة .

(٢٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود - أبي الطيب مُحمَّد شمس الدين الحق العظيم آبادي - دار الفكر - ١٣٩٩ هـ .

(٢٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي العسقلاني - دار المعرفة بيروت - طبعة دار الباز مكة المكرمة .

(٢٥) فتح القدير - مُحمَّد بن علي الشوكاني - الناشر محفوظ العلي بيروت - توزيع دار الباز مكة المكرمة .

(٢٦) في ظلال القرآن - سيد قطب - الطبعة العاشرة ١٤٠٢ هـ - دار الشروق .

(٢٧) مؤسسة الرسالة .

(٢٨) مكارم الأخلاق ومعاليها - أبي بكر مُحمَّد بن جعفر الخرائطي - تحقيق سعاد سلمان إدريس - مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر - الطبعة الأولى ١٤١١ هـ .

(٢٩) موسوعة أخلاق القرآن - د . أحمد الشرباصي - ط الأولى ١٤٠١ هـ - دار الرائد العربي بيروت .

(٣٠) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين - مُحَمَّد جمال القاسمي - الطبعة الخامسة  
١٤٠٦ هـ دار النفائس .

(٣١) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين - مجموعة من العلماء - الطبعة السادسة  
١٤٠٥ هـ

(٣٢) نفائس الحلة في التآخي والحلة - عدنان سالم الرومي علي صالح الهزاع - ط  
الثانية ١٤٠٣ هـ - مكتبة المنار الإسلامية .

(٣٣) والنشر .

---

١ - ينظر المجموع المغيث في غريب القرآن و الحديث ٢ / ٢٧٨ و لسان العرب مادة صفا .

١ - انظر العقيدة الطحاوية ٣٩٧ ، ٤٤٣ ، ٣٥٠ .

١ - خلق المسلم ٩٨

(٣) تفسير ابن كثير ٢ / ٢٨٠ .

(٤) ابن كثير ٢ / ٢٨١ .

(١) ابن كثير ٢ / ٢٨٦ .

(٢) انظر فتح القدير ١ / ٣٦٧ (( بتصرف يسير )) .

(٣) في ظلال القرآن ٣ / ١٥٤٨ .

(١) في ظلال القرآن ١ / ٤٤٢ .

(١) في ظلال القرآن ١ / ٤٤٢ .

(٢) فتح القدير ٢ / ٣٢٢ .

(١) صحيح الجامع

(٣) صحيح الجامع ١٩١٥ .

(٤) صحيح الجامع .

(٢) صحيح الجامع

(٣) البخاري ، كتاب فضائل ليلة القدر حديث ٢٠٢٣ .

(١) مسلم كتاب البر والصلة باب النهي عن الشحناء والتهاجر رقم ( ) .

(٢) انظر صحيح ابن ماجه حديث ٧٩٢ وقال الألباني ( ضعيف بهذا اللفظ وحسن بلفظ (( العبد الآبق )) )

مكان (( أخوان متصارمان ))

(١) لإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ١ / ٧ .

(٢) مسلم كتاب الجنة باب يدخل الجنة أقوام ، حديث ٢٨٤٠ .

(٣) تفسير القرطبي .

(١) البخاري ، انظر الفتح ١٦ / ٣٩٥ حديث ٦٥٣٥ .

(٢) خلق المسلم ٨٦ .

١ - صحيح الجامع ٦٦٦٩ .

٢ - صحيح الجامع ٦٤٨٤ والصحيحة ٩٣٨

٣ - صحيح الجامع ٢٦٠٩ والصحيحة ٩٣٨ .

٤ - رواه أحمد ٣ / ١٦٦ ، انظر شرح السنة ١٣ / ١١٤ وقال إسناده صحيح .

٥ - رواه البخاري ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة / كتاب بدأ الخلق حديث ٣٢٤٥ .

(١) العوائق ٧ .

(٢) القرطبي ٧ / ٢٠٨ .

(٣) انظر صحيح الجامع ٥٤١٠ ، وتفسير ابن جرير ١ / ١٧٤ وابن كثير ١ / ٥٩ .

(١) رواه ابن ماجه ، قال الألباني في صحيح ابن ماجه : ١ / ١٦٠ حديث ٧٩٢ - ضعيف بهذا اللفظ وحسن بلفظ (( العبد الآبق )) مكان ((

أخوان متصارمان )) .

(١) رواه مسلم (( كتاب البر والصلة )) باب النهي عن الشحناء والتهاجر رقم ( ) .

(٢) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (( ١١٤ )) ٣ / ١٣٥ .

(٣) انظر خلق المسلم ٩٨ .

- (٤) في ظلال القرآن ١ / ٥٠٠ .
- (١) البداية والنهاية ٣ / ٢٢٢ .
- (٢) الفتح ١٠ / ٥٠١ .
- (٣) الفتح ٧ / ٣٧٠ .
- (٤) الفتح ٧ / ٣٧٠ .
- (١) فتح القدير ١ / ٣٦٨ .
- (٢) رواه البخاري ، حديث ٦٨٤ كتاب الآذان ، باب من دخل يوم الناس فجاء الإمام .
- (٣) رواه أحمد وأبو داود و الترمذي ، انظر صحيح الجامع ٢٥٩٥ .
- (١) متفق عليه .
- (٣) الصحيحة ٩٤٨ .
- (٢) جامع الترمذي ٥ / ٤٦ كتاب العلم ، باب ما جاء الأخذ بالسنة .
- (١) البخاري : كتاب الاعتكاف باب هل يخرج المعتكف لحوائجه . حديث ٢٠٣٥ .
- (٢) ينظر الفتح ٤ / ٣٢٨ .
- (١) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب تحريم الظن والتجسس . رقم ( )
- (٢) مسلم كتاب السلام حديث ٢١٧٧ .
- (٣) البخاري : كتاب الاستئذان ، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة .
- (٤) الفتح ١١ / ٨٢ .
- (٥) رواه البخاري ، كتاب الإيمان .
- (١) رواه البخاري الفتح ١٣ / ٢٣ .
- (٢) رواه البخاري الفتح ١٠ / ٤٦٤ .
- (٣) مسلم ٣ / ١٦٢ .
- (٤) أبو داود ٥٠٠٣ و الترمذي ٢١٦١ وإسناده صحيح ، انظر شرح السنة ١٠ / ٢٦٤ .
- (٥) البخاري البيوع ، باب لا يبيع على بيع أخيه .



(٦) رواه البخاري في الأدب ( باب رحمة الناس والبهائم ) ، ومسلم في البر والصلة ( باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ) .

(١) رواه البخاري في الجنائز ( باب اتباع الجنائز ) والنكاح و الأشربة وغيرها . ورواه مسلم في السلام ( باب من حق المسلم على المسلم ، رد السلام . )

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان ( باب حلاوة الإيمان ) وفي الأدب ، رواه مسلم في الإيمان ( باب بيان خصال من اتصف بمن وجد حلاوة الإيمان ) .

(٣) أخرجه البخاري في أبواب صلاة الجمعة ( باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ) ومسلم في الزكاة ( باب فضل إخفاء

الصدقة ) .

(٤) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ( باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ) .

(٥) رواه مسلم في البر ( باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ) .

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٣١ .

(٢) الأخوة لجاسم مهلهل ٤١ .

(٣) الصحيحة ٦٣٨ .

(١) الجواب الكافي ٦٢ .

(٢) رواه أبو داود ، انظر صحيح الجامع ١٩١ .

(٣) مر هنا ص ٢٨ .

(٤) أبو داود ، انظر ضعيف الجامع ٢١٩٦ .

(١) رواه أحمد ٢ / ٣٤٠ انظر صحيح الجامع ٧٤٩٦ .

(٢) روته ابن ماجة رقم ٤٢١٦ انظر صحيح الجامع ٣٢٨٦ .

(٣) رواه أحمد ١ / ١٦٥ انظر صحيح الجامع ٣٣٦١ / ١ .

(٤) مسلم ، كتاب الزهد ، حديث ٢٩٦١ .

(٥) مسلم ، كتاب الزهد ، حديث ٢٩٦٢ .

(١) اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ٩ / ١٧١ .

(٢) الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في المراء ، حديث ١٩٩٥ .

(٣) الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في المراء ، حديث ١٩٩٤ .

(٤) اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ٩ / ١٧٢ .

(٥) اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ٩ / ١٧٣ .

(١) موعظة المؤمنين ٢٨ .

(٢) البخاري ، كتاب المظالم انظر الفتح ٥ / ١٧٧ ، ومسلم كتاب العلم ، باب الألد الخصم .

(٣) خلق المسلم ٨٧ .

(٤) اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ٩ / ١٧٨ - ١٧٩ .

(١) مسلم كتاب البر حديث ٢٥٦٤ .

(٢) البخاري كتاب التفسير حديث ٤٩٤٢ .

(١) نفائس الحلة ٤٣ .

(٢) موعظة المؤمنين ٣٠١ .

(٣) رواه البخاري ، انظر الفتح ١٠ / ٤٨ حديث ٦٠٦٤ .

(٤) شخصية المسلم ٢٩١ .

(٥) الصحيحة ٨٦٦ .

(١) العوائق ٤٢ .

(٢) موعظة المؤمنين ٢٠٤ .

(٣) موعظة المؤمنين ٢٠٥ .

(١) مكارم الأخلاق للخرائطي رقم ٥٣٩ .

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٥ / ٩٤ ، ٩٥ . وقال الحقق رواه أحمد ١ / ١٧٠ و الترمذي وذكره الهيثمي في المجمع ٧ / ٦٨ وقال ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن محمد وهو ثقة .

(١) موسوعة الأخلاق في القرآن ٤ / ٤٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٢٣٦ .

(٣) موعظة المؤمنين ٣٠٢ بتصرف .

(١) موعظة المؤمنين ٣٠٥ بتصرف .

(٢) موعظة المؤمنين ٣١٠ بتصرف .

(٣) العوائق ١١٤ ، ١١٥ .

- (١) موعظة المؤمنين ٣٠٢ .
- (٢) تفسير ابن جرير ١٣ / ١٣٥ .
- (٣) موعظة المؤمنين ٣٠٢ .
- (٤) غداء الألباب شرح منظومة الآداب ٢٦٣/١ وانظر جامع العلوم والحكم ٢/٢٥٤
- (١) في ظلال القرآن ٣٣٤٦ .
- (٢) عون المعبود ١٣ / ٢٣٣ حديث ٤٨٦٧ ، انظر صحيح الجامع ٢٢٩٥ .
- (٣) عون المعبود ١٣ / ٢٣٣ .
- (٤) موعظة المؤمنين ٢٠٥ .
- (٥) موسوعة أخلاق القرآن ٣ / ١٤٢ .
- (١) موسوعة أخلاق القرآن ٣ / ١٤٦ .
- (٢) عون المعبود ١٢ / ٤٠ ، انظر إرواء الغليل ٧ / ٣٥٨ ، وفي صحيح الجامع ٧٩٩٠ وموجود فيه هذال بالذال وهو خطأ والصحيح هزال بالزاي المشددة ، انظر تقريب التهذيب ٨٧٨٢ .
- (٣) موسوعة أخلاق القرآن ٣ / ١٤٧ .
- (١) مكارم الأخلاق ٤٩١ .
- (٢) انظر عون المعبود ١٣ / ٢٣٤ - ٢٣٥ ، حديث ٤٨٦٩ - ٤٨٧١ .
- (١) انظر عون المعبود ١٣ / ٢٢٤ ، حديث ٤٨٥٩ ، انظر صحيح الجامع ٧٩٨٤ .
- (٢) انظر السلسلة الصحيحة ١٢١٧ .
- (٣) صحيح الجامع ٦٢٦٢ .
- (٤) صحيح الجامع ٦٢٦٣ .
- (٥) صحيح ابن ماجه ٢٠٦٢ .
- (٦) صحيح الجامع ٤٨٦ والصحيحة ١٠٩٠ .
- (٧) صحيح الجامع ٦٦٧٨ .
- (٨) موعظة المؤمنين ٢٠٦ .
- (١) العوائق ٤٣ .

- (٢) في ظلال القرآن ٦ / ٣٣٤٧ .
- (٣) مسلم بشرح النووي ١٦ / ١٢١ .
- (٤) موعظة المؤمنين ٢٩٧ .
- (٥) حديث حسن ، رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٢ / ١٠٦ حديث ٦٢٨٩ .
- (١) تقدم ص ٤٩ .
- (٢) حديث صحيح ، انظر كتاب الصمت لابن أبي الدنيا ، حديث ١٧٦ .
- (٣) رواه أحمد وأبو داود ، انظر صحيح الجامع ٥٢١٣ .
- (٤) شعب الإيمان ١٢ / ١٥٢ .
- (١) شعب الإيمان ١٢ / ١١٦ .
- (٢) شعب الإيمان ١٢ / ١١٤ .
- (١) شعب الإيمان ١٢ / ١٥٧ .
- (١) عون المعبود ١٢ / ١١١ ، وساقه ابن كثير في تفسيره ص ١٩٠ / ٤ عن أبي يعلى وقال إسناده صحيح .
- (١) مسلم بشرح النووي ١١ / ٢٠٣ كتاب الحدود .
- (٢) رواه أبو داود كتاب الأدب باب الغيبة و الترمذي أبواب صفة القيامة (( باب تحريم الغيبة )) وصحيح الجامع ٥١٤٠ .
- (٣) شعب الإيمان ١٢ / ١٤٩ .
- (٤) تفسير الطبري ١٢ / ١٣٧ .
- (١) تفسير القرطبي ١٦ / ٣٣٧ .
- (٢) موعظة المؤمنين ٢٠٩ .
- (٣) رواه البخاري .
- (٤) تفسير القرطبي ١٦ / ٣٣٧ .
- (٥) موعظة المؤمنين ٣٠١ ، والحدِيث قال في هامشه رواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف .
- (١) شخصية المسلم ٢٩٣ .
- (٢) شعب الإيمان ١٢ / ١٥٨ .

- (١) مسلم كتاب الجنة ٦٤ حديث ٢٨٦٥ .
- (٢) مسلم ، البر ٧٨ .
- (١) أحمد ٣ / ٢٣٥ ، و الترمذي ٢٠٢٩ ، انظر صحيح الجامع ٥٨٠٩ .
- (٢) البخاري ، كتاب الأدب ، حديث ٦٠٢٢ .
- (٣) مسلم ، كتاب البر والصلة والأدب ، حديث ١٩١٤ .
- (٤) مسلم ، كتاب البر والصلة والأدب ، حديث ٢٦٢٦ .
- (٥) الترمذي ، انظر صحيح الجامع ٢٩٠٨ .
- (١) رواه ابن سعد في الطبقات والحاكم ٣ / ٢١١ و الهيثمي في المجمع ٩ / ٢٧٥ .
- (٢) البخاري ، حديث ٣٠٣٥ .
- (٣) كتاب الأخوان ١٤١ .
- (٤) مسلم ، كتاب الإيمان ، حديث ٥٤ .
- (٥) انظر صحيح الجامع ١٨٦ .
- (٦) كتاب الأخوان ١٢٠ - ١٢١ .
- (٧) الصحيحة ٥٢٦ .
- (١) صحيح الجامع ٦٦٧ .
- (٢) الصحيحة ١١٩٩ .
- (٣) صحيح الجامع ٣٠٠٤ .
- (١) الظلال ٢ / ٨٧٦ .
- (٢) البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته الفتح ٦ / ٣٦٣ .
- (٣) رواه أحمد وأبو داود و الترمذي ، انظر صحيح الجامع ٢٤٣١ .
- (٤) انظر تفسير ابن كثير ٢ / ٤١ .
- (١) الظلال ٢ / ٢٠٧٢ .
- (٢) حياة الصحابة ٢ / ٤٣٠ .

(١) حياة الصحابة ٢ / ٤٣٢ .

(٢) أسد الغاية ٢ / ٤٧ .

(٣) تفسير الطبري ٨ / ٣٧ .

(١) سير أعلام النبلاء .

(٢) نفائس الحلة ٧٠ .

(٣) موسوعة أخلاق القرآن ٦ / ١٥٤ .

---

[t1] انظر عون المعبود ١٣ / ٢٢٤ ، حديث ٤٨٥٩ ، انظر صحيح الجامع ٧٩٨٤ .